حولية دائرة الآثار العامة

١٩٧٧ ـ ١٩٧٨
الثاني والعشرين

دائرة الآثار العامة
عمان
المملكة الاردنية الهاشمية

لجنة التحرير :
الدكتور عدنان الحديدي – مدير عام الاثار
الدكتور معاوية ابراهيم
السيدة خولة قسوس
السيدة زين شردم
الدكتور فوزي زيادين

قيمة الاشتراك السنوي :
ثلاثة دنانير اردنية – ترسل باسم مدير عام الآثار .

تقبل المقالات حتى أول تشرين الثاني/نوفمبر من كل سنة وترسل باسم محرر الحولية :
مديرية الآثار العامة .
ص . ب ٨٨
عمان

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار بالضرورة . المؤلفون مسؤولون عن تدقيق مقالاتهم .

الطابعون
المؤسسة الصحفية الاردنية – الرأي
عمان – هاتف ٦٧١٧١

الآثار في خدمة السياسة

بقلم

الدكتور عدنان الحديدي

مقدمة:

إن تدريس علم الآثار في المعاهد والجامعات فرعا من فروع المعرفة الانسانية فكرة حديثة بدأت في أوروبا أواخر القرن التاسع عشر. ويعود أصل هذا المصطلح في جميع اللغات الحديثة الى كلمة « أرخيولوغيا » اليونانية ومعناها علم الأشياء القديمة. وأول من إستعملها بهذا المعنى من الاغريق هو الفيلسوف أفلاطون (١). فعلم الآثار إذن مرادف للتاريخ القديم وبهذا المفهوم فانه يعني بدراسة النقوش والمدونات والآثار المادية التي خلفها الانسان عبر العصور. على أن كلمة «آرخولوغوس» لم تنقل الى اللغة اللاتينية فسقط إستعمالها منذ نهاية العصر الكلاسيكي. ثم عاد علماء القرن السابع عشر الى إستعمال هذه الكلمة بمدلول يختلف عن الأصل اليوناني القديم بحيث صار معناها الحديث دراسة الآثار المادية للحضارات القديمة بصورة مستقلة عن المصادر المدونة رغم أن المدونات والنقوش تؤلف جزءا من المكتشفات الأثرية. أما الكتابة القديمة فأخذت تحظى بدراسات خاصة مما أدى الى نشوء عدد من العلوم المستقلة مثل الأبيغرافيا أو علم النقوش (Epigraphy) وعلم مخطوطات البردى (Papyrology) والبليوغرافيا أو علم الكتابة والنقوش القديمة (Paleography) والفيلولوجيا أو فقه اللغة التاريخي والمقارن (Philology). ويهدف علم الآثار الى كشف جميع ما شكله أو صنفه الانسان منذ قديم الزمن من مبان وأدوات وأعمال فنية، ووصف هذه الاكتشافات ودراستها وتصنيفها ومقارنتها وترتيبها حسب التسلسل الزمني ثم تنسيقها ضمن الاطار التاريخي المناسب. والغاية الرئيسية لعالم الآثار هي إحياء عناصر التراث القديم وإعطاء صورة واضحة عن حياة البشر في العصور السالفة ثم تتبع تطور الحضارات القديمة وإزدهارها وإنحلالها.

ولقد أدت التنقيبات الأثرية في الشرق الأدنى خلال مائة العام الأخيرة الى زيادة معلوماتنا التاريخية والفنية عن الحضارات البائدة بشكل لم يسبق له مثيل. على أنه ما يزال هنالك كثير من المعضلات التاريخية والحضارية التي تفتقر الى أدلة وبراهين حاسمة. ولعل من أهم الوسائل التي يمكن أن تساعد على حلها تنسيق التعاون العلمي بين الأثريين لاجراء التنقيبات والبحوث الموحدة في مناطق واسعة دون التقيد بالتقسيمات الجغرافية السياسية الحديثة. ولكن تحقيق هذا الأمر صعب لاختلاف القوميات وطبيعة مصادر التمويل وتنوع إهتمامات علماء الآثار. يضاف الى ذلك أن إهتمام الأثريين بكشف الحقائق العلمية ليس دائما الدافع الأساسي لقيامهم بالتنقيبات. فلقد عمدت أجهزة المخابرات التابعة لدول كبرى معينة وما زالت الى إخفاء نشاطاتها تحت ستار الدراسات والتنقيبات الأثرية وكانت دائما تبادر وما زالت الى تهيئة الأجواء المناسبة لجمع معلومات لا علاقة لها إطلاقا بالعلم (٢). وعمدت دول الانتداب بعد الحرب العالمية الأولى الى تمويل البحوث والتنقيبات الأثرية بسخاء في البلدان الواقعة تحت وصايتها في الشرق الأدنى لدعم نفوذها السياسي من جهة ولاضفاء صفة الشرعية على إدعاءات الصهيونية العالمية في حق اليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين عن طريق إحياء التراث الحضاري الاسرائيلي القديم وذلك بتحريف الحقائق العلمية المكتشفة وتحويرها لتوافق الأغراض والغايات الذاتية المتأثرة بالتعصب القومي أو الديني. ولم يقتصر الأمر على ذلك إذ أن كثيرا من علماء الآثار الذين تجندهم أجهزة المخابرات والمؤسسات الدينية في تلك الدول يتعمد طمس الأدلة والبراهين التي لا تنسجم مع غايتهم. وأخطر مثل على هذا النوع من الباحثين هم علماء الآثار التوراتيون الذين تنحصر أهدافهم في تطبيق الروايات الواردة في أسفار التوراة، على ما يكتشفونه من آثار ولا يلتفتون لشيء سوى البحث عن المواقع التي يظنون أنها هي الأماكن المذكورة في التوراة، وينتقون مما يكشفون فيها من اللقايا ما يعتقدون أنه يؤيد وجهة نظرهم ولو أدى ذلك الى إهمال بقية الآثار المكتشفة أو تشويهها. وعلى سبيل المثال نجد كثيرا منهم يهتمون بوصف ما يكتشف داخل أماكن العبادة وتحليله دون الالتفات الى ذكر بقايا

فهرس المحتويات

الاثار في خدمة السياسة،..... ٦
الدكتور عدنان الحديدي

زراعة قصب السكر وصناعته عند العرب والمسلمين
الدكتور صالح الحمارنة.....١٢

الحفريات الاثرية في الاردن ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧
الدكتور معاوية ابراهيم
والسيدة حنان الكردي..... ٢٠

الحيوانات والنباتات المكتشفة داخل المنازل أو الأماكن الأخرى في الموقع الأثري. ذلك لأنهم يعتبرون دراسة الطقوس الدينية أهم من معرفة وسائل المعيشة عند القدماء (٣). وجلي أن هدفهم من ذلك هو مطابقة ما ورد من وصف للطقوس الدينية في المصادر المدونة مع ما يعثرون عليه في المعابد. إن التنقيبات الأثرية يجب أن تكون وسيلة لدراسة التاريخ القديم ومعرفة كل ما يمكن معرفته عن حياة السكان في العصور السالفة ومعيشتهم لا أن تسخر هذه التنقيبات وتحور نتائجها لاثبات صحة ما ورد في المصادر المدونة كالتوراة مثلا. إن أحدا لا يعترض على محاولات علماء التوراة معرفة الأماكن والمواقع المشار إليها في العهد القديم، ولكن أن تستعمل التوراة مرشدا لتفسير ما يكتشف من آثار لا يتفق مع علم أو منطق. إن الأمثلة على خطأ هذا المنهج التقليدي الذي ما فتئ يتبعه علماء التوراة كثيرة لا يتسع لها حيز هذه المقالة ولكننا نكتفي بالحديث عن بعض منها للبرهنة على ما ذكر.

نظرية الفراغ الحضاري في جنوب الأردن (أنظر الخارطة)

من أبرز علماء التوراة في عصرنا الحاضر الحاخام نيلسون جلوك (Nelson Glueck) المتوفي عام ١٩٧٠. وقد قام بنشاط أثري واسع حينما كان يعمل جاسوسا للمخابرات البريطانية في فلسطين وبقية البلدان العربية بعد الحرب العالمية الأولى (٤). وأهم إنجازاته الأثرية: إستكشاف آثار شرق الأردن ووادي عربة وصحراء النقب وشملت نحو ألف وخمسمائة موقع أثري سجلها على الخرائط كما أشرف على عدد من التنقيبات في تل الخليفة قرب مدينة العقبة وفي جبل التنور قرب مدينة الكرك. وشغل منصب رئيس كلية الاتحاد العبري ـ المعهد اليهودي للدراسات التوراتية. ومن أشهر مؤلفاته «مسح أثار شرقي الأردن» في أربعة أجزاء و «نهر الأردن» و«أنهار في الصحراء» و«ألهة ودولفينات: قصة الحضارة النبطية» وجميعها باللغة الانجليزية (٥).

إن من يقرأ كتاب جلوك «مسح آثار شرقي الأردن» يجد أن جميع تفسيره لتاريخ هذه المنطقة منذ حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م. مبني على معلومات وروايات من أسفار التوراة. ويبدأ هذا التاريخ على حد زعمه بآثار تدمير شامل لما يسمى بحضارة المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط على طول خط يمتد من جنوب نهر الزرقاء بوسط البلاد الى صحراء النقب وحدود مصر. ويعزو جلوك هذا التدمير الى فعل جيوش غازية قدمت من الشرق بزعامة الملك «كيدرليعومير» كما ورد في التوراة (سفر التكوين ١٤:٥ – ٧). ويحدد جلوك زمن المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط من ٢١٠٠ الى ١٨٥٠ ق.م. ويطابقه مع الزمن الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام وأتباعه. ثم يتابع القول ـ وهذا أخطر ما في نظريته ـ بأن المنطقة التي تقع جنوب نهر الزرقاء شهدت بنهاية المرحلة المشار اليها إنخفاضا كبيرا في المجتمعات المستقرة خلال ما يسمى بالمرحلة الثانية من العصر البرونزي المتوسط من ١٨٥٠ الى ١٥٥٠ ق.م. وخلال المرحلتين الأولى والثانية من العصر البرونزي المتأخر ١٥٥٠ – ١٤٠٠ ق.م. و١٤٠٠ – ١٢٠٠ ق.م. (٦). وبتعبير آخر فان جلوك يدعى أن الأردن كان خاليا من السكان تقريبا مدة ستمائة عام الى أن جاءه الاسرائيليون بعد خروجهم من مصر متوجهين الى فلسطين أرض الميعاد. ولكنه لا يملك إلا الاعتراف بأن الممالك العربية ايدوم ومؤاب وعمون وغيرها والتي تملأ آثارها الأراضي التي يدعي خلوها من السكان كانت قد نشأت قبل مجيء الاسرائيليين ولكن بزمن قصير فقط في القرن الرابع عشر ق.م. على وجه التحديد. وهكذا نسق جلوك مكتشفاته بحيث جعل تاريخها يطابق رواية التوراة التاريخية والتي تشكل جزءا من تقاليد الديانة الاسرائيلية القديمة. ولا مفر من التساؤل بعد تقريره هذه النتيجة: أيهما كان الأول تاريخ هجوم «كيدر ليعومير» على الأردن الذي تشير إليه التوراة أم التاريخ الذي تشير إليه المكتشفات الأثرية عن نهاية المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط؟ هل إستطاع جلوك أن يجد برهانا واضحا يؤكد تاريخ هذين الحدثين يمكنه من القول بأنهما وقعا في آن واحد؟ أم أن ما فعله لا يتعدى التخمين والتصور بأن المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط إنتهت في فلسطين وشرقي الأردن في آن واحد ثم التخمين بأن هذه الفترة تتطابق مع زمن إبراهيم عليه السلام و «كيدر ليعومير» وأن الأخير إستطاع بحملة واحدة تدمير بلاد بأكملها تدميرا تاما. إن حزره يشمل كل ذلك رغم افتقاره الى معرفة وقوع اي من الأحداث المذكورة بصورة واضحة ومحددة. ان جلوك يعتمد بالطبع على روايات وأخبار وردت في اسفار التوراة لا على حقائق علمية موضوعية. ولكن الى اي مدى يمكننا الاعتماد على صحة روايات التوراة من الوجهة التاريخية؟ يقول الأثري الهولندي الشهير هانك فرانكن (Hank J. Franken) الأستاذ بجامعة لايدن بهذا الصدد «لا يختلف مفهوم الاسرائيليين الخاطئ للقضايا العربية وحقوق عرب فلسطين في عصرنا الحاضر عنه في الزمن القديم» (٧). والحقيقة أن الاكتشافات الأثرية الحديثة تبين أن شرقي

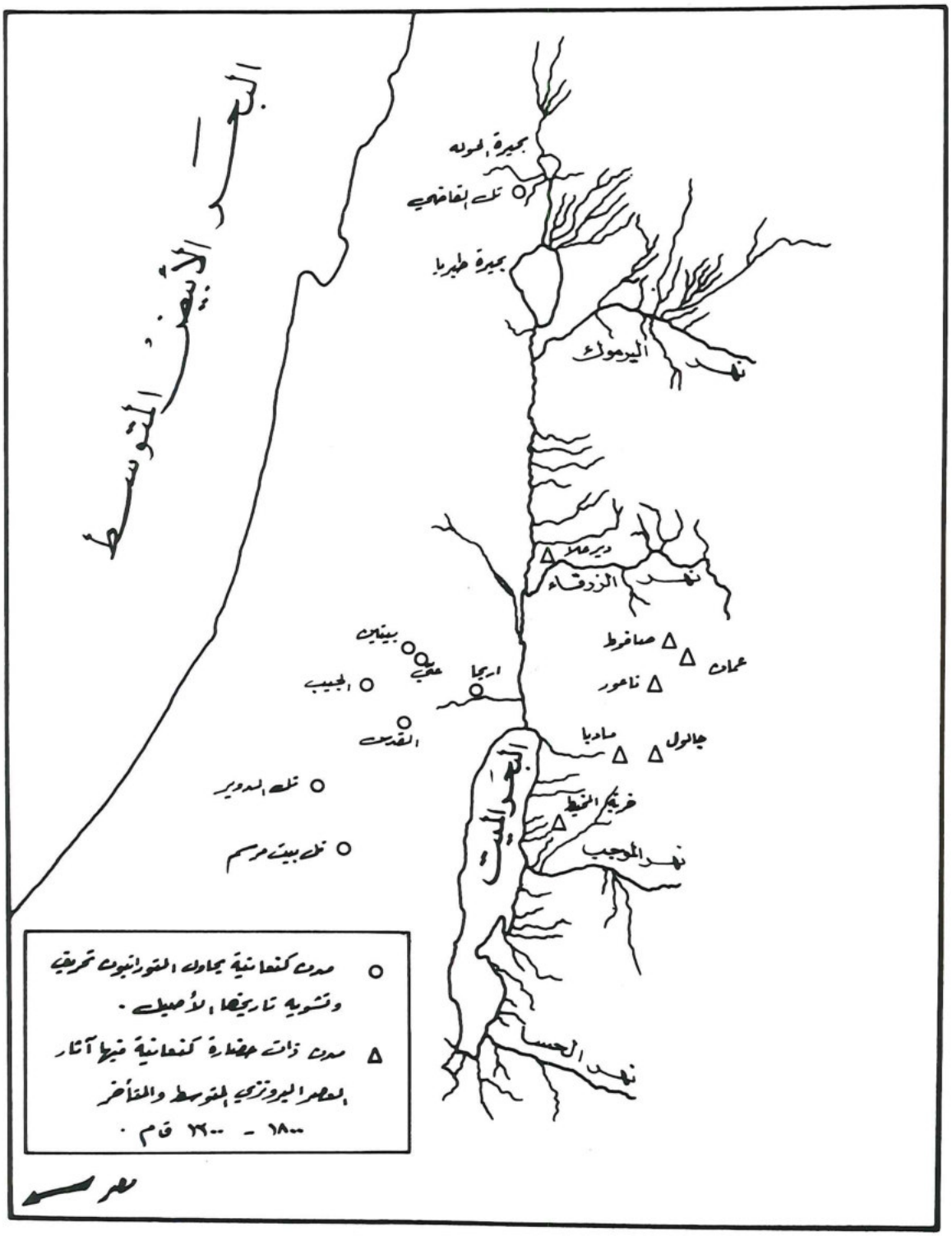
البحر الأبيض المتوسط
بحيرة الحولة
تل القاضي
بحيرة طبريا
اليرموك
نهر
دير علا
نهر الزرقاء
صافوط
عمان
ناعور
بيتين
عقبي
ارجا
الجيب
القدس
جالول
مادبا
تل المدوير
خربة النحيط
نهر الموجب
تل بيت مرسم
نهر الحسا
○ مدن كنعانية يحاول التوراتيون تحريفها وتشويه تاريخها الأصيل.
△ مدن ذات حضارة كنعانية ضمن آثار العصر البرونزي المتوسط والمتأخر ١٨٠٠ - ١٢٠٠ ق م.

شكل رقم (١)

الأردن لم يشهد فراغا حضاريا في الفترة الواقعة بين نهاية المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط والمرحلة الثانية من العصر البرونزي المتأخر. فقد عثر المنقبون على آثار وخزف في عدة مواقع جنوب نهر الزرقاء يعود تاريخها الى المرحلة الثانية من العصر البرونزي المتوسط والمرحلتين الأولى والثانية من العصر البرونزي المتأخر في مأدبا وخربة المخيط ووادي أبو النمل وجالول وناعور وعمان ودير علا وغيرها. واعترف جلوك نفسه بذلك قبيل وفاته في الطبعة الحديثة من كتابه « "The Other Side of the Jordan" (٨).

البداوة عدو للحضارة:

وثمة نظرية أخرى مرتبطة بالنظرية السابقة توصل إليها العالم التوراتي جلوك على أثر دراسته السطحية لآثار شرقي الأردن في الثلاثينات من هذا القرن وهي أن حياة البداوة كانت تشكل دائما خطرا مستمرا يتهدد المجتمعات الحضرية بالتخريب والدمار. ولما كانت الصهيونية العالمية تقوم بدراسة إمكانيات البلاد الزراعية آنذاك وتسعى الى إقامة مستعمرات لتوطين المهاجرين اليهود فان استغرابنا لهذه النتيجة سرعان ما يتلاشى ونفهم بسهولة أن تفسيره للآثار مرتبط بمقتضيات الأهداف القومية اليهودية. وما فعله جلوك وأتباعه هو أنهم فسروا الشواهد الأثرية القديمة حسب النوايا والخطط التي كان اليهود يسعون الى تحقيقها في المنطقة، متجاهلين قواعد البحث العلمي الدقيق في دراسة العصور الأثرية. ان كل عصر من هذه العصور له مسائله ومشكلاته الخاصة وليس بمقدور الأثريين إعطاء صورة واضحة عنها إذا لم تتوافر لديهم شواهد أثرية حقيقية وواقعية تكشف عنها التنقيبات العلميّة. ويكفي أنّ نتذكر الصعوبات التي تعترض من يحاول تتبع إستقرار القبائل الاسرائيلية في فلسطين ومراحل إنتقالها من حياة البداوة الى الحياة الحضرية والزمن الطويل الذي يستغرقه مثل هذا التحول لندرك أن الدراسة السطحية وحدها لا تمكن العلماء من حل هذه المسائل التاريخية والحضارية المعقدة. إن أحدا لا ينكر أن العالم التوراتي جلوك إستطاع تسليط الأضواء على كثير من المعلومات الأثرية المفيدة، ولكن تفسيره لهذه المعلومات يفتقر الى الدقة التاريخية والتسلسل الزمني مما يجعلها عديمة النفع بالنسبة للمؤرخين. وهذا أمر طبيعي طالما أنه كان يفسر الشواهد الأثرية من خلال صفحات التوراة. ولو أن أحدا إعتمد على المصادر المصرية فقط لكتابة تاريخ فلسطين القديم لوجد أن المعلومات عن بني إسرائيل ومملكتهم لا تشغل سوى حيز تافه في السجل التاريخي لهذه البلاد إذا ما قيس بالحيز الكبير الذي يشغله تاريخ الكنعانيين والفلسطينيين. (٩) ومن المؤسف أن نجد بين المفكرين والعلماء الأوروبيين من يقبل ويؤيد هذه المفاهيم ويعتبرها قواعد أساسية لدراسة آثار العالم العربي.

البحث عن مسرح لبطولات بني اسرائيل:(أنظر الخارطة)

إن أساس العلة في إقدام التوراتيين على تحريف التاريخ هو أن الدراسات الأثرية التي تعالج المراحل الحضارية السابقة للعهد المسيحي ترتكز على الايمان بأسطورة إبتدعها كتبة التوراة عن تحركات القبائل الاسرائيلية عبر البلدان المعادية لهم وما يتخلل ذلك من حكايات عن حروبهم مع سكانها. وبما أن التوراة تصف الأحداث التي مرت ببني إسرائيل وإنتصاراتهم والأماكن التي إحتلوها على أنها معجزات من صنع اله إسرائيل «يهوى»، فهي في نظر التوراتيين حقائق رغم إستحالة إثبات صحتها علميا وتاريخيا. إن سبب وقوع الأثريين التوراتيين ضحية هذا المنهج المغلوط هو رفضهم تحليل الشواهد الأثرية ودراستها خارج الاطار الديني أو العقائدي الذي يحاولون به تفسير الأحداث التاريخية والتطورات الحضارية. ونسوق هنا مثالا آخر على ضلال هذا المنهج. تتحدث التوارة فيما تتحدث وبوجه خاص سفر يشوع عن حروب وفتوحات وبطولات أحرزها الاسرائيليون أثناء عبورهم الى أرض الميعاد. لذا كان لا بد لعلماء التوراة من إيجاد فترة أثرية تتناسب شواهدها مع الروايات الدينية. فوقع إختيارهم على المرحلة الثانية من العصر البرونزي المتأخر (١٤٠٠ – ١٢٠٠ق.م.). فالآثار والنقوش والمخطوطات والرسومات تدلنا على أن الشرق الأدني شهد آنذاك إضطرابا عظيما في المجالين السياسي والاجتماعي كان أهم مظاهره إنهيار الامبراطورية الحثية وإنتهاء عهد السيطرة المصرية في آسيا زمن حكم الأسرة الثامنة عشرة وغزوات شعوب البحر من الشمال. ولقد تعرضت مدن هذه المنطقة للتدمير والتخريب آنذاك وكان استقرار الاسرائيليين في ضواحي القدس من عوامل هذا الاضطراب. ولا تقتصر شواهد التدمير التي تكشف عنها الطبقات السكنية من ذلك الزمن على مدن فلسطين وشرقي الأردن وإنما تمتد لتشمل مدنا عديدة في أنحاء الشرق الأدنى وحوض بحر إيجه. وتقول عالمة الآثار البريطانية السيدة كاثلين كنيون (Kethleen Kenyon) بعد إنهائها أعمال التنقيب في أريحا: «يستحيل على المرء أن يقرن تدمير أريحا بتاريخ خروج الاسرائيليين في القرن الثالث عشر ق.م. فتدمير المدينة يمكن أن يكون نتيجة

هجوم جماعة أخرى من العبريين الذين يتميز تاريخهم كما نعرف بالتعقيد. وبالتناوب فان الحكاية المثيرة التي ترويها التوراة عن حصار أريحا وسقوطها ليست إلا تعليلا خياليا لمظاهر التخريب فيها. إن علم الآثار لا يستطيع الاجابة عن هذه المسألة» (١٠). وبالنسبة لمدينة عي تستخلص السيدة جوديت ماركيـة كراوس (Judith Marquet Krause) النتيجة الآتية: «إن الفصلين السابـع والثامن من سفر يشوع واللذين يعتبران تاريخيين لا يخرجان عن كونهما جزءا من أسطورة» (١١). ويعتقد السيد كالاواي (J. Callaway) وهو أخر من نقب في هذه المدينة بان أساس الرواية التوراتية الطويلة هو إستيلاء الاسرائيليين على قرية صغيرة كان قد أنشأها مهاجرون غير إسرائيليين فوق بقايا المدينة البرونزية القديمة. ويستنتج هذا العالم من الشواهد الأثرية التي حصل عليها ما يلي: «إننا لا نستطيع بعد هذا أن نصدق بأن تدمـير بيتـين (Bethel) وتـل الدويـر (Lachish) وتل بيت مرسـم أو تل القـاضي (Hazor) في العصر البرونزي المتأخر كان نتيجة غزو الاسرائيليين لأرض الكنعانيين» (١٢). ويقول الأستاذ جيمس بريتشـارد (J.B. Pritchard) بعـد تنقيبه في مدينة الجيب (Gibeon) : «تأكد لنا بناء على أفضل البراهين المتوافرة بانه لم يكن في الجيب مدينة ذات أهمية زمن يشوع» ويواصل القول: «أن التناقضـات الواضحة التي كشفت عنها نتائج التنقيب الأثري في أريحا وعي والجيب وهي من المدن التي يتحدث عنها سفر يشوع تدل على أننا نسير في طريق مسدود في محاولة العثور على شواهد أثرية لاثبات الروايات التقليدية عن الفتوحات الاسرائيلية» (١٣). وفي معظم الحالات لا يتورع المنقبون التوراتيون عن المبالغة العشواء في تفسير الشواهد الأثرية لتلائم روايات التوراة. فالآثار المكتشفة في بيتين على سبيل المثال تشير الى أن المدينة تعرضت للتدمير خلال القرن الثالث عشر ق.م. ولكن ذلك لا يبرر قول العالم التوراتي كلسو (J.L. Kelso) بأن الذي دمر المدينة في العصر البرونزي المتأخر هو يشوع وجنوده (١٤)، لأننا أولا لا نعرف تاريخ حدوث التدمير بشكل دقيق وثانيا لم يذكر سفر يشوع شيئا عن سقوط بيتين أو تدميرها وثالثا تشير التوراة في سفر القضاة الى أن إستيلاء اليهود على المدينة كان نتيجة خيانة وليس بفعل هجوم عسكري. ولا يوجد في هذه الرواية أيضا أي ذكر لتدمير المدينة (١٥). وكذلك تعرضت مدينة تل الدوير (Lachish) للتدمير بنهاية القرن الثالث عشر ق.م. ولكن هذا التدمير لا يعني تأكيد تاريخ أو حقيقة عبور الاسرائيليين الى فلسطين. لقد عثر المنقبون في تل الدوير على إناء عليه كتابة مصرية قديمة يعود تاريخها الى السنة الرابعة من حكم فرعون مصري يغلب الظن أنه «مينفتاح» وإذا صح ذلك فان هذا التاريخ لا يمكن إعتباره سوى تاريخ بدء تكون الطبقة السكنية التي عثر فيها على هذا الاناء. وعثر المنقبون أيضا على خاتم بشكل جعلان عليه كتابة مصرية يخص الفرعون رعمسيس الثالث في الطبقة السكنية المدمرة. وعلى هذا الأساس تعتقد الآنسة أولغا توفنيل (O. Tufnell) التي ساعدت في أعمال التنقيب وتولت نشر نتائجه بأن تاريخ هذا التدمير في تل الدوير يعود إلى زمن متأخر خلال السنوات الأولى من القرن الثاني عشر ق.م (١٦) ولكن عددا من علماء التوراة يفضلون تاريخ تدمير هذه المدينة في عام ١٢٢٠ ق.م. لملائمته للجدول الزمني للغزو الاسرائيلي رغم أن التوراة لا تشير الى سقوط هذه المدينة بيد يشوع وجماعته. وبالمقابل فان الاحتمال بان يكون المصريون أو شعوب البحر الايجيون أو بعض الكنعانيين هم الذين دمروا تل الدوير أكبر وأقرب الى مطابقة الأحـداث التاريخية والشواهد الأثرية التي تميز هذه الفترة. أما المدن الساحلية مثل بيسان وتل المتسلم وتعنك وغيرها فلا يمكن جعلها مسرحا لأعمال التخريب والتدمير التي مارسها يشوع وأتباعه أثناء العبور لأن التوراة تؤكد بوضوح أن بني إسرائيل لم يهاجموها (١٧).

ولا يختلف الحال بالنسبة لعلاقة الشواهد الأثرية المكتشفة في الطبقات السكنية التي يعود تاريخها الى أوائل عصر الحديد بمجيء الاسرائيليين لاستحالة التعرف على أي تغيرات حضارية ذات طابع إسرائيلي متميز في هذه المرحلة. ولا يسعنا إزاء هذا الحال إلا أن نشارك الأستاذ فرانـكن (H.J. Franken) العالـم الأثـري الهولندي الشهير رأيه في هذا الموضوع أذ يقول: «لولا روايات التوراة التقليدية لما وجد الأثريون التوراتيون أي تغير عرقي يذكر في نهاية العصر البرونزي المتأخر(١٨).

إن السبب في وقوع كثير من المنقبين الأثريين في مثل هذه الأخطاء هو عدم إدراكهم حقيقة أن الشواهد الأثرية لا يمكن تسخيرها لتفسير العقائد الدينيـة أو المذاهـب السياسية. وأهم مثل على ذلك محاولة المفكرين الشيوعيين في روسيا إعادة تصنيف العصور الحجرية والبرونزية والحديدية على نحو يلائم النظرية الشيوعية في تطور المجتمع البشري . فالشيوعيين يعتقدون بأن هذا التطور مر في أربعة مراحل: ١) تشكيل الجماعات الصغيرة، ٢)

النظام القبلي، ٣) إنهيار نظام القبائل، ٤) نشوء نظام الاقطاع. وقياسا على هذا التصنيف أعيد ترتيب الآثار المعروضة في المتاحف لغايات الثقافة والتعليم. ولكن هذا الترتيب لم ينجح في إعطاء صورة علمية عن واقع التسلسل التاريخي. وجلي أن الدافع الأساسي لهذا التصنيف هو الرغبة في تسخير الآثار لخدمة الأهداف السياسية(١٩).

مراجع

١) **Hippias** major 285 d.; Cf. H.N. Fowler, Plato with an English Translation (1929) VI. p. 353.

٢) Roland de vaux, O.P., "On Right and wrong Uses of Archaeology" .**Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century,** ed. by James A.Sanders, New York, (1970.)p. 66.

٣) Hank J. Franken, **"The Other Side of the Jordan", Annual of the Department of Antiquities of Jordan"** Vol.XV. p. 6.

٤) Fritz Bamberger. "The Mind of Nelson Glueck", **Near Eastern Archaeology in the Twentieth Contury,** ed. by James A. Sanders New York, (1970.) p. xxiii

٥) **Survey of Eastern Palestine** I-IV, **AASOR,** vols xiv (1934), xv(1935), XVIII-XIX (1939),XXV-XXVIII(1951).
The River Jordan, 1949
Rivers in the Desert,1959
Deities and Dolphins, 1965; Cf. G.Ernest Wright, "The Achievement of Nelson Glueck", **Biblical Archaeologist Reader** 1,(1961,) p. 11.

٦) N.Glueck,**The Other Side of the Jordan,**) 1970 p. 140; G. Ernest Wright, **op.cit.,** p. 13.

٧) H.H. Franken, **op.cit.,** p. 8.

٨) N.Glueck, **op.cit.,** p. 141; J.J. Finkelstein, Commentary, Vol. 27. No. 4, (1959) pp. 341-50; G. Ernest Wright, "Is Glueck's Aim To Prove That the Bible Is True?" **Biblical Archaeologist Raeder** 1,pp. 14-21.

٩) H.J. Franken,**"The Other Side of the Jordan".** Annual of the Department of Antiquitis of Jordan. Vol. xv, (1970),p. 9.

١٠) Kathleen M. Kenyon, in **Archaeology and Old Testament Study,** ed. by D. Winton Thomas (1967), p. 273.

١١) Judith Marquet Krause, **Les Fouilles de Ai (Et-Tell) (1949) p. 24.**

١٢) J. Callaway, **"New Evidence on the Conquest of 'Ai," Journal of Biblical Literature, 87 (1968) pp. 312-20.**

١٣) J.B. Pritchard, in the Bible in Modern Scholarship, ed. by J.P. Hyatt, (1965), P. 319.

١٤) J.L. Kelso, in **Biblical Archaeologist, 19, (1956), p. 39.**

١٥) Roland de Vaux, O.P., **op.cit.,** p. 77.

١٦) O.Tufnell,in **Archaeology and Old Testament Study,** ed. by D. Winton Thomas (1967). p. 302.

١٧) Roland de Vaux, O.P., **op.cit.,** p. 77.

١٨) H.J. Franken, **"Palestine in the Time of the Nineteenth Dynasty.** (a) Archaeological Evidence," Cambridge Ancient History (revised edition), II, Fasc. 67 (1968), p.9.

١٩) H.J. Franken **"The Other Side of the Jordan",** Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol. XV, (1970) p. 8.

زراعة قصب السكر وصناعته
عند العرب المسلمين *

بقلم
الدكتور صالح الحمارنه

تعود معرفة الانسان لقصب السكر لفترة مبكرة جدا الى حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وقد عرف هذا القصب اولا ببلاد الهند وربما شاركها هذا الفضل كذلك الجزر في جنوب الباسفيك وتشير الدلائل كذلك على ان المصريين القدماء قد عرفوا قصب السكر ايضا. وان كلمة قاورا (Gaura) الكلمة الهندية القديمة للدلالة على السكر ربما اخذت من اسم (Gur) اسم لملك بنغال القديمة.

اما الكلمة السنسكريتية للسكر فهي (Sākkara) او (Sārkara) ومعناها الرمال او الجبلة الطينية (او البحصية)، وواضح انها نفس اللفظة العربية للسكر تقريبا، وقد انتقلت عن العربية الى اللاتينية الوسطى (Saccarum)ومنها الى بعض اللغات الاوروبية (١).

وذكرت الكتابات الهندية المقدسة القديمة قصب السكر قبل المسيحية بألف سنة ومن الهند انتشرت زراعة قصب السكر الى الصين في حوالي ١٨٠٠ – ١٧٠٠ ق.م. وقد جاء ذكر ذلك بالكتابات الصينية القديمة. والتي تتحدث عن سكان وادي قانقيز (Ganges) الذين كانوا يعرفون سائل القصب الحلو المذاق.

وانتقلت معرفة زراعة قصب السكر من الهند كذلك الى بلدان الهند الصينية في الشرق والى ايران والبلدان العربية في الغرب، ومن البلدان العربية انتقلت زراعة قصب السكر الى اوروبا وايضا الى البلدان الافريقية.

ان اول ذكر للسكر في المصادر الكلاسيكية يعود الى الفترة الهيلينية بعد ان غزا الاسكندر الكبير الهند، فقد ذكر احد قواده نيارخوس (Nearchus) في سنة ٣٢٧ ق.م. انه يوجد بأرض الهند قصب يخرج منه العسل دون مساعدة او تدخل من النحل. ثم ان الطبيب جالينوس (Galen) (١٢٩؟ – ٢٠٠م) قد وصف سائل سكارون (Sakcharon) لاضطرابات المعدة وامراض الكلى، هذا السائل المستخرج من ارض الهند وبلاد العرب.

وامر جدير بالذكر ان المبشرين السوريين النساطرة من اعالي الفرات قد عرفوا تكرير نوع من السكر الابيض وذلك بواسطة استعمال الرماد في العملية حوالي سنة ٧٠٠م.(٢).

وقد استعمل العرب المسلمون كلا من السكر والعسل في الامور الطبية في حين اقتصر اليونان على استعمال العسل فقط، وان حنين بن اسحق (٨٠٩ – ٨٧٣م) قد ذكر الطبرزد وفي المعاجم جاء ان الطبرزد هو السكر الممتاز (الفائق). وورد ايضا في مخطوط كتب في زمن الفاطميين حديث عن انواع السكر وعن اهميته في العلاجات الطبية وقد سماه المؤلف اخو العسل ومما جاء في المخطوط ما يلي:

«السكر احد العصارات المستجدة بالتجميد التي يستعان بها على تنفيذ الادوية المشروبة من المسهلات وغير المسهلات وذلك لانه يكسر من مرارة ما كان منها مرا ويلطف مزاج ما كان منها غليظا ويسهل على النفس قبولها وفيه جلاء قوي وتنقية وتقويه للصدر ويحلل السعال، وهو اخو العسل وشقيقه وعديله ورفيقه ولاجل ذلك رأيت ان اتي بذكره بعد العسل، حار في الدرجة الاولى رطب يجلو ويلطف ويحلل ويلين البطن موافقا للمعدة وقد يختلف السكر في غذائه وفضله بحسب اختلاف اصنافه:
(١) الطبرزد (٢) السليماني = القارد بالعراق الاهوازي بالشام (٣) الفانيد (٤) النبات وهو افضل الجواهر السكرية واحسنه واصلبه وقد يستنبت على قضبان الجرائد من شراب الجلاب والورد والبنفسج فيأتي متعلقا على تلك القضبان مثال الفصوص بياضا ونقاءا (محمد التميمي المقدسي:» كتاب المرشد الى جواهر الاغذية وقوى المفردات في الأدوية« المقاله ١١ من الجزء الأول – المكتبة الوطنية، باريز).

وما ان قامت الدولة العربية الاسلامية وتوطدت اركانها حتى نشر العرب زراعة قصب السكر وفن تكريره في معظم بلدان البحر الابيض المتوسط وما جاورها. اذا فلهم يعود الفضل في تعميم هذا الغذاء الثمين في العصور الوسطى.

---

* القي هذا البحث في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب جامعة حلب من (٥ – ١٢/٤/١٩٧٦)

لا شك ان القائمة طويلة ومتعددة، قائمة المنتوجات الزراعية التي اخذتها مختلف البلدان خاصة اوروبا الجنوبية عن العرب المسلمين، وذلك على امتداد فترات العصور الوسطى، فكما يقول آدم متز: «كان اهم حادث في الاقتصاد الزراعي الاوروبي في العصور الوسطى هو احلال الحنطة – القمح، محل الذرة والشعير، اما في الشرق فكانت الحنطة قد استوطنت واستغرقت منذ زمن طويل » وكانت تزرع في كافة البلاد التي يكون الماء فيها موفورا... وكان العراق اكثر البلدان التي يزرع فيها الحنطة وكان ارتفاع اسعار القمح يذكر دائما كدليل من دلائل غلاء المعيشة. (٣) وبجانب الحنطة يأتي على رأس القائمة الأرز والحمضيات والقطن ثم قصب السكر.

ان صناعة السكر وتكريره كانت من المنتوجات القليلة في العصر الوسيط التي استطاعت ان تحفز قيام مزارع واسعة لزراعته ومصانع لتكريره ذلك لأن تجارته كانت رائجة ورابحة.(٤)

وقد حمل اهل فينيسيا (البندقية) عن العرب معرفة تكرير السكر، واصبحت مدينتهم ولمدة طويلة تقرب من خمسة قرون مركزا مهما لصناعة السكر والاتجار به في اوروبا، ولقد قامت مدينة البندقية بدور الوسيط ما بين العالم المسيحي والعالم الاسلامي في ذلك، بل وقد كان لأهل البندقية في اثناء الحروب الصليبية مزارع قصب في مدينة صور وغيرها.

ويذكر فيليب حتي «ان ما اخذه الصليبيون من أرض الشام كان هو السكر، فقد كان الاوروبيون قبلا يستخدمون العسل لتحلية اطعمتهم، فعن سواحل سوريا عرف الافرنج قصب السكر».

وقد ذكر وليم الصوري (ت ١١٩٠م) في حديثه عن الحروب الصليبية، كثيرا عن مزارع قصب السكر في مسقط رأسه. وقد ادخل مع السكر للغرب الاشربة الخفيفة والماء الممزوج بخلاصة الورد والبنفسج، وكثيرا من انواع الحلويات. وليس للغرب فحسب بل ان منتوجات السكر والاشربة السورية المنعشة عادت للتصدير الى ارض السند في الشرق كذلك...(٥)

اين كان يزرع قصب السكر في العصور الوسطى؟ وكيف كان يصنع السكر؟

نظرا لحلاوة السكر ولذة طعمه من جهة وللربح التجاري الناتج عن صناعته وتصديره فقد كان قصبة يزرع في جميع البلدان التي يمكن زراعته فيها.

وهنا اريد ان اذكر على سبيل المثال لا الحصر اهم المواضع التي كانت زراعة قصب السكر فيها منتشرة في العالم الاسلامي الوسيط حسب المصادر العربية، واحب ان اذكر اولا ان هذه المصادر، ذكرت انه في بلاد الهند ينتشر قصب السكر، فكما يقول القلقشندي «قصب السكر كثير للغاية في بلاد الهند ومنه نوع اسود صلب المعجم وهو اجوده للامتصاص لا الاعتصار، ولا يوجد في غيرها ويعمل من بقية انواعه السكر الكثير».(٦)

وفي وصف جزائر بحر الهند يذكر شيخ الربوه – شمس الدين الانصاري الدمشقي يذكر جزائر الديبا وهن جملة جزائر متقاربات واهلها قبائل من العرب، والكبيرة منهن تسمى جزيرة الديبي والدياب ايضا.. بها الموز وقصب السكر.(٧)

وفي مدينة المنصورة في ارض السند يقول ابن حوقل «ليس بها سوى النخيل وبها قصب السكر».(٨)

كذلك يكثر قصب السكر في الصين في ديدو وفي الخنساء اعظم فرض الصين.(٩)

والمهم انه بجانب بلاد الهند والصين، فان المصادر العربية تؤكد وجود قصب السكر وكثرة زراعته في مختلف البلدان الاسلامية والعربية. وفي طليعتها بلاد عربستان المعروفة اليوم باقليم خوزستان، التي عاد الفرس مجددا الى تسميتها بخوزستان منذ ايام البهلوى رضا شاه.(١٠)

وجدير بالذكر ان انهار خوزستان صالحة لسير السفن، واكثر تجارتها تنقل بين مدنها في تلك الانهار اما متجمع طرقها ففي الاهواز.(١١) المهم ان في اقليم خوزستان هذا يكثر قصب السكر فيزرع في ارجاء مدينة رامز، القمح والقطن وقصب السكر وفي مدينة جنبا قرب سوق الاربعاء، يكثر قصب السكر. وجنوب غرب دزمول تقع اطلال السوس، وسوسه كانت مدينة آهله في القرون الوسطى يكثر فيها قصب السكر. ثم في مدينة الحويزة والتي وصفها المستوفي (القرن الثامن الهجري) انها من ازهى مدن خوزستان يكثر فيها القمح والقطن وقصب السكر، وكان يسكن المدينة في ذلك الوقت الصابئة. اما مدينة جنديسابور فقد كانت منذ ايام الساسانيين قاعدة خوزستان، والتي بقيت – حتى ايام الخليفة المنصور – مشهورة بمدرستها الطبية التي اسسها الطبيب السوري النصراني بختشوع، ومن بعده ابنائه واحفاده.. وكان يكثر في نواحي جند يسابور قصب السكر ويحمل منها الى خراسان واقاصي الشرق.(١٢) ويبدو لي ان السكر هنا استعمل في هذه المدينة المشهورة في المسائل الطبية والادوية. ولا يستبعد كذلك انه نظرا لانتشار الحضارة الآرامية واللغة الآرامية في هذه المدينة فقد نقل الأطباء الآراميون السكر كدواء من هذه المدينة الى ارض سوريا.

وبذلك تم استعماله في الطب عند العرب المسلمين.

القلقشندي يذكر ان «دجلة الاهواز – وهو نهر ينبعث من الاهواز عليه مزارع عظيمة من قصب السكر وغيره».(١٣)

كذلك على جوانب نهر المسرقان – من بلاد خوزستان النخل والزرع وقصب السكر.(١٤)

ويذكر المقدسي في كتابه احسن التقاسيم ان اهم تجارات خوزستان وغلاتها السكر، فان قصب السكر كان يكثر في كل ناحية منها، قال المقدسي «كل سكر تراه ببلاد الاعاجم والعراق واليمن ففي خوزستان يحمل».(١٥)

اذن فلا عجب ان تسمع ان في خوزستان يتم اول تكرير للسكر في البلدان الاسلامية وذلك في وقت مبكر نسبيا اي في القرن الثامن الميلادي. بعد ذلك ولا شك امتدت معرفة تكرير السكر الى غيرها من البلدان مثل العراق ومصر وبلاد الشام، فنسمع عن مصر في القرن العاشر ان من اكبر المحاصيل دخلا كانت في هذا الوقت صناعة السكر.(١٦)

وامتدادا لخط الاهواز تنتشر زراعة قصب السكر في جنوب العراق، فيذكر الماوردي ان قصب السكر يزرع حوالي البصرة وفي سنجار...(١٧)

هذا ويخبرنا الثعالبي ان قصب السكر كان ينتج بوفره في العراق.(١٨) ويؤكد البيهقي انه كان الاقليم المحيط بالبصرة اشهر مكان لصناعة السكر في العراق.(١٩)

اذن فالعراق في هذه الفترة خاصة الاقاليم الجنوبية منه قد اشتهرت بزراعة قصب السكر وتكريره...

في الوقت الذي فيه كانت بلدان شرقي الخلافة – خوزستان (عربستان) وجنوب العراق – قد بدأت بتكرير السكر منذ القرن الثامن الميلادي، فان مصر مع القرن العاشر الميلادي قد اصبحت من اكبر مراكز انتاج السكر، صحيح ان المؤرخين والجغرافيين العرب في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) لم يتحدثوا عن زراعة قصب السكر في مصر، ولكن الدلائل تشير ان زراعة قصب السكر في هذا القطر كانت قائمة، وكما ذكرت فالمصريون القدماء قد عرفوا قصب السكر وان لم يعرفوا السكر نفسه.

ولكن يظهر ان زراعة قصب السكر قد اصبحت في مصر ذات شأن كبير مع القرن الخامس الهجري، ربما كان لانفصال مصر السياسي عن الشرق اثر في ذلك.(٢٠)

يقول ناصر خسرو حوالي ٤٤٠ه / ١٠٤٨م «وتنتج مصر عسلا كثيرا وسكرا.(٢١) اما الكتاب المتأخرون نسبيا امثال ياقوت الحموى والنويري والقلقشندي ثم المقريزي (٢٢) فانهم يصفون زراعة قصب السكر وصناعته في ارض مصر بشيء كثير من التركيز والاسهاب، واعتقد ان وصف النويري لزراعة قصب السكر ومعاصرة في مصر في القرون الوسطى يعتبر من خيرة ما وصلنا من وصف هذه الصناعة الهامة جدا.

والذي نستنتجه ان زراعة السكر في مصر في العصور الاسلامية الوسيطة ثم صناعته وتصديره كانت من اكثر الاعمال الانتاجية في مصر خاصة في الفترة الايوبية ثم عصر المماليك.

وأثر مصر واضح ايضا في انتقال زراعة قصب السكر ثم صناعته الى المغرب العربي في شمال افريقيا، ومن شمال افريقيا انتقل الى غرب افريقيا ثم الى البلدان الواقعة في الجنوب من الصحراء. هذا من جهة، ومن جهة اخرى تم انتقال زراعة قصب السكر وصناعته الى الاندلس الاسلامية، اذ ان صناعة السكر وتكريره قد دخل الاندلس الاسلامية، منذ القرن العاشر الميلادي ان لم يكن ابكر.

لا شك ان الاسبان والبرتغال نقلوا صناعة السكر وزراعته مع اليد العامله (السوداء) الى بعض نواحي العالم الجديد... بيد ان العرب المسلمين هم الذين اعطوا البدايات الاولى لهذه الصناعة في الاندلس وغيرها من بلدان جنوب اوروبا.(٢٤)

لقد كان امرا شائعا ان زراعة قصب السكر وصلت الى غرب افريقيا على يد البرتغاليين عن طريق ماديريا (Madeira)، حيث هناك كان يكرر السكر منذ سنة ١٤٥٢. وايضا عن طريق جزائر فردي (Verde Islands)حيث هناك كان ينمو قصب السكر بكميات مرموقة منذ سنة ١٤٩٠.(٢٥)

وينفي نظرية انتقال السكر الى غرب افريقيا عن طريق البرتغاليين ما كتبه المؤرخون العرب المسلمون، فمثلا الزهري (حوالي ١١٥٠ م)، وابن سعيد (القرن الثالث عشر الميلادي) ثم القلقشندي (المتوفي ١٤١٨ م) هؤلاء الكتاب قد ذكروا ان قصب السكر كان معروفا في الاجزاء الشرقية من غرب افريقيا، قبل ان يأتي عن طريق ماديريا وغيرها بمدة طويلة.

ويذهب الاستاذ ليفيتسكي الى القول «انني اعتقد ان بعض شعوب افريقيا الغربية عرف قصب السكر والسكر المستحضر منذ العصور الوسطي، وان الفضل يعود للعرب لا للبرتغاليين في نقله الى هذه البلدان.(٢٦) فيذكر البكرى والزهري وبعدهما بكثير القلقشندي عن وجود قصب السكر وصناعته في مراكش خاصة في منطقة السوس الاقصى (٢٧)

...قصب السكر بجزائر بني مزعنان وبسلا كثير، ويعصر ثم يعمل منه القند ومن القند السكر على انواع **بمراكش، فانه يقال ان بها اربعين معصرة للسكر**، وان حمل حمار من القصب يساوي درهما من دراهم (اهل مراكش)، وهو ثلث الدرهم من الدراهم المصرية، ويعمل منه المكرر الفائق، ومع ذلك فليس لهم به اهتمام لاكتفائهم عنه بعسل النحل مع كثرته عندهم. وميلهم اليه أكثر من السكر، حتى يقال انه لا يستعمل السكر عندهم الا الغرباء او المرضى. (٢٨)

حتى الآن قد تحدثنا عن زراعة قصب السكر وصناعته في مختلف انحاء العالم الاسلامي في العصور الوسطى خاصة خوزستان ومصر. ويبدو لنا ان سواحل ارض الشام وخاصة منطقة الاغوار في ارض الأردن كانت مهمة جدا في زراعة قصب السكر وفي صناعته وانتاجه وتصديره، ففي المنطقة الممتدة من نهر اليرموك شمالا حتى وادى الصافي جنوبا، نرى على امتداد هذه المنطقة اثاراً واضحة لمعاصر السكر الكثيرة واسماء التلال والاودية التي تحمل اسماء مثل تل السكر او وادي السكر حتى يومنا هذا... ولقد قام قسم التاريخ والآثار، في الجامعة الاردنية بالتعاون مع دائرة الآثار العامة والمعهد الامريكي للدراسات الشرقية في عمان، قاموا جميعهم مجتمعين منذ سنتين بمسح اثري لمنطقة الأغوار. ويقوم بهذا العمل الكبير كل من الدكاترة خير ياسين، وجيمس سيوار ومعاوية ابراهيم، وغيرهم... وتشير الدلائل الاولى لهذا المسح الاثري ان هذه المنطقة عامرة بالآثار منذ اقدم العصور، اي منذ العصور الحديثة او قبل ذلك اي منذ عشرة الاف سنة قبل الميلاد، وسلسلة الآثار مستمرة حتى الفترة العثمانية، وقد برز اكثر من (٢٢٥) موقعا اثريا نصفها معروف من مسح سابق قامت به دائرة الآثار او بأشراف منها. وبالنسبة للآثار الاسلامية في هذه البقاع فان الفترة الاموية ثم الفترة الايوبية وعصر المماليك تعتبر من اغنى الفترات الاسلامية واكثرها تواجدا في هذه المنطقة. اما الفترة العباسية (العصر العباسي الاول)، والفترة الفاطمية فانها افقر بأثارها وهذا ما يثبته التاريخ السياسي للمنطقة.

ويهمنا هنا الحديث عن الكشف عن اثار معاصر السكر في هذه المنطقة الممتدة من نهر اليرموك شمالا حتى البحر الميت جنوبا، فقد وجد في هذه المسافة التي يبلغ طولها ٧٨ كيلومترا حتى الآن ٣٢ معصرة للسكر. وان كثيرا من المواقع تعرف بأسمائها المحلية بتل السكر وهناك خمسة مواقع على الاقل تحمل هذا الاسم.

ويرجح ان هذه المعاصر تعود في تاريخها الى الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني عشر ـ حتى الرابع عشر للميلاد، وقليل منها تعود الى فترة متأخرة من هذا التاريخ وجدير بالذكر ان واحدة من هذه المعاصر بقيت في الاستعمال حتى سنة ١٩٦٧، فقط مع تحويلها من معصرة للسكر الى مطحنة للقمح، وجميل ان نذكر هذه المطحنة تحمل اسم الصحابي ضرار بن مالك الازور الاسدي الذي قاتل في حروب الردة ثم اشترك في فتوح الشام مع خالد بن الوليد. وتقع هذه المطحنة بالقرب من بلدة دير علا.

هذا وتشير كثير من المصادر العربية الى كثرة زراعة قصب السكر في السواحل السورية وفي ارض الغور خاصة. فمثلا يذكر المقدسي ان اهل الغور وطبريا يمصون قصب السكر من شدة الحر. ثم يذكر مدينة كابل وهي مدينة (بالشام) ساحلية بها مزارع الاقصاب «ومن صور السكر والخرز» وثم «وقصب السكر في كور فلسطين». (٢٩) ويذكر نفس الشيء تقريبا ياقوت الحموى في معجم البلدان ويقول: «ان السكر اكثر ما يستعملونه اهل الغور ومنها **يصدر الى بلاد المشرق**، ثم يقول «اما الاردن فهو نهر يأخذ من بحيرة طبريا ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور... واكثر **مستغلهم السكر**، ومنها يحمل الى سائر بلاد المشرق، وعليه قرى كثيرة منها بيسان». (٣٠) ويصف ياقوت الغور في موضع اخر ويتكلم عن كثرة مزارع السكر فيه ويقول «الغور طوله مسيرة ثلاثة ايام وعرضه نحو يوم فيه نهر الأردن... وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبريا وبحيرتها ومنها تؤخذ مياهها واشهر بلاده بيسان بعد طبريا، واكثر ما يزرع فيه قصب السكر... ومن قراه ايضا اريحا. (٣١) اما القلقشندي فيذكر "ثغور الشام كثيرة فيه قصب السكر" ويقارنه بما يزرع في مصر فيقول: وقصب السكر في اغواره (الشام) الا انه لم يبلغ من الكثرة حد مصر. (٣٢) وقد سبقه النويري بشرح طويل عن اقصاب السكر ومعاصرها في ارض الشام فيقول: واما اقصاب الشام فهي تختلف اوضاعها بحسب البقاع والنواحي والاعمال فمنها ما هو بالسواحل الطرابلسية والبيروتية والعكاوية ولهم اصطلاح من نصب الاقصاب واغتصارها: فمنها ما يعتصر بحجارة الماء، ومنها ما يعتصر بالابقار ومنها ما يعتصر بالسهام (الاعواد من الخشب).. ويستمر النويري فيقول: وعمدة المباشر في الاعتصار ضبط ما يتحصل وحراسته من السارق والخائن والمفرط، ويلزم مباشر الاعتصار ان ينظم في كل يوم وليلة مخزونة (دفتر يوميات) بما اعتصر وبما تحصل».(٣٣)

مما سبق نستدل على ان السواحل السورية وارض الغور كانت في العصور الاسلامية خاصة في الفترة الايوبية

وعصر المماليك من اغنى البلاد الاسلامية في زراعة قصب السكر وتكريره وصناعته وتصديره. اذ كانت تجارة السكر ـ كما اسلفنا ـ تجارة رابحة ومفيدة في تلك الفترة. وربما كان للوحدة السياسية بين بلاد الشام ومصر عامل حاسم في تطوير هذه الصناعة وغيرها من الصناعات مما زاد في ازدهار كل من سوريا ومصر في تلك الآونة.

اما كيفية زراعة قصب السكر وتهيئة الأرض لذلك، ثم كيف عمل المعاصر وتكرير السكر وما شاكل، فانه زيادة على المعلومات المادية التي تعطينا اياها الحفريات الاثرية فان كتب الجغرافيين والمؤرخين تعكس بعض هذه النواحي، خاصة ما كتبه المؤرخ الموسوعي النويري شهاب الدين في كتابه نهايه الأرب في فنون الأدب، فقد شرح ذلك بشيء من التفصيل في السفر الثاني من كتابه، وكذلك نجد نفس الوصف تقريبا عند المقريزي في كتابه الخطط والآثار، فاما ان المقريزي قد اخذ عن سابقه النويري او ان الطريقة بقيت ذاتها حتى ايام المقريزي فشرحها كما هي. وخلاصة طريقة زرع اقصاب السكر وعمل المعاصر كما جاءت عند النويري كما يلي ـ

بعد اعداد الأرض جيدا وريها بما فيه الكفاية، يرمي بالقصب ويتعاهد بعد ذلك الى ان يعفرز القصب ويقوى، ولا غنيه للقصب عن القطران قبل ان يحلو، فانه يمنع السوس فاذا كان شهر كيهك (من الاشهر القبطية، كانون الثاني) كسرت الاقصاب وقشرت ونقلت الى المعـاصر، وتوضع في **دار القصب** حيث هناك تنظف عيدان القصب بالسكاكين، ويقطع من اعلاه ما ليس فيه حلاوة ويسمونه اللكلوك ثم ينقل الى **بيت النوب** حيث يقطع القصب على وترات قطعا صغارا، ثم ينقل في اوعية من خوص تسمى العيارات فيوضع ذلك قصب المقطع تحت **الحجر**، ويدور **الحجر** عليه الابقار الجياد فيعصره ثم يصفى ويغلى ويصب في اكسية من الصوف تحت دنان، ثم يطبخ في قدور من نحاس، ويصب المطبوخ ـ المحلب ـ في اباليج (جرار) من الفخار ضيقة الاسافل متسعة الاعالي، ثم تقطر وتحفظ.

واذا كان في اوان نصب القصب من السنة الثانية حرقت اثار الاقصاب وزعرقت كما تقدم...(٣٤)

ملاحظات

مكان المعصرة عبارة عن بناء واسع مقوس، والمعصرة الكبرى تقوم في الوسط من تحت الجرن الكبير، عليه تقوم المعصرة الدائرية الكبرى التي يحركها الدواب وفيها ثقب قائم لينزل السائل، واخر يغرز القصب المعصور، وهناك مجرى خاص لتصريف المياه.

قنطرة في المعصرة حيث أن الدواب تدور في الأسفل لتحريك العمل. رقم (١)

سقاية لنقل المياه في الكريمة . صورة رقم (٢)

ومن فوق هذا البناء يقوم عجل كبير مشدود مع المعصرة من تحت، بأعواد خشبية وهذا العجل يتحرك بسبب الماء المتدفق عليه وبشكل عامودي، يأتي الماء متدفقا من فتحة مثقوبة من فوق، لذا فكل معصرة يجب ان تقوم عند مجاري المياه المتدفقة. فاذا تعثر وجود الماء المتدفق في هذه الامكنة عندئذ تحمل المياه على الجسور المعروفة باكفا دوكتي (Aqueduct قناة ـ سقايات) لكي تخلق الشكل العامودي للماء المتدفق.

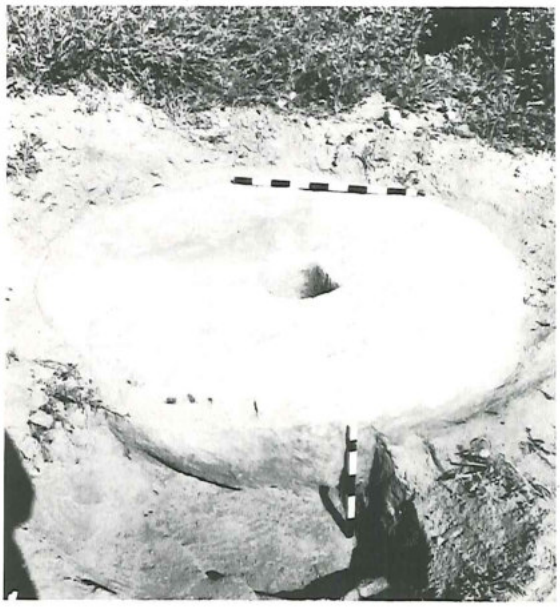

حجر معصرة في الغور. رقم (٣)

ولقد لوحظ بجانب المعاصر وجود مكان للحريق مما يدل على وجود مطابخ لطبخ المحلب ــ القصب المعصور ــ ثم وجود الفخار بجانبها الذي كان دليلنا على اعطاء تاريخ لهذه المعاصر، وطبعا كان السكر المستخرج يحفظ بهذه الجرار. (انظر الصور) رقم - ٢ -

حوض معصرة من تل السكر (الغور). صورة رقم (٥)

كما لوحظ وجود معاصر معدة للاستعمال لم ينته العمل بها، كما في صورة (رقم ٥)

معصرة والقناة الموصلة اليها في موقع كريمة الجنوبي ــ وادي كفرنجة. صورة رقم (٤)

المراجع

١ــ Parker Sondheimer,
Collier's Encyclopedia
Vol. 21, P. 606.

Jean Yoyotte,
A Dictionary of Egyptian Civilization,
London (1962) P. 876.
Encyclopaedia Britannica
p. 769

مصطفى الشهابي: تاريخ الزراعة في العالم العربي.
مجلة المجتمع العربي. دمشق ج ٣ مجلد ٧ ص ٩٨، ١٩٢٧.

٢ــ **Collier's Encyclopaedia**
انظر ايضا

Encyclopaedia Britanica
E. Lane, **An Arabic English Lexicon**
Tom. V. 8. 18 23. Begram th 1978

٣ــ آدم متز: الحضارة الاسلامية في عصر النهضة.
الترجمة العربية. دار الكتاب العربي مجلد ٢ :٣٠٢،
عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي/ القرن الرابع هجري، ط ٢ ــ بيروت (ص ٧٠ – ٧١)

٤ــ M.A. Cook,
Economic Developments;
The Legacy of Islam, second ed.
Ed. Joseph Schacht, with C.E. Bosworth,
Oxford (1974). p. 216.

٥ــ Hakim M. Said,
Cultural Impact of Bilad Al-Sham on Sind. Amman (1974) p. 6.

فيليب حتي: تاريخ العرب ــ مطول
الترجمة العربي. دار الكشاف بيروت ١٩٦١، ط ٣ــج،ص ٧٨٩
Tafel and Thomas, **Urkunden,**
II. p. 358.

فالح صالح: الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموي مخطوط ص ١٢٠ وما بعدها.

٦ــ القلقشندي ــ ابو العباس احمد،
كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الامريكية ــ القاهرة، ١٩١٤
جزء ٥ ص ٨٣.

٧ــ شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.
ليبزغ ١٩٢٣، ص ٦١٠.

٨ــ ابن حوقل: المسالك والممالك.
الطبعة الاوروبية ص ٢٢٨.

٩ــ القلقشندي: صبح الاعشى.
ج٤،ص ٢٨٠ – ٢٨١.

١٠ــ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية.
الترجمة العربية، بغداد ١٩٥٤ ص ٢٦٧. ن.م.ص ٢٨٠.

١١ــ م.م. ص ٢٨٠.

١٢ــ كي لسترنج: بلدان الخلافة ص ٢٧٩،٢٧٨،٢٧٦،٢٧٣.

١٣ــ القلقشندي: صبح الاعشى ج٤، ٤٠٠

١٤ــ القلقشندي: ن.م. ٤، ٤٠١

١٥ــ المقدسي ــ ابوعبدالله.
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم. الطبعة الاوروبية ــ دي غوية ص ٤١٦.

١٦ــ M. Cook, **Economic Developments p. 216.**

١٧ــ الماوردي: الاحكام السلطانية.
ابو الحسن علي، القاهرة ص ١٦٨.

١٨ــ الثعالبي ــ ابو منصور: لطائف المعارف.
باعتناء دي يونج سنة ١٨٧٦ ص ١٠٧.

١٩ــ البيهقي: المحاسن والمساوئ.
باعتناء فاكيسن ١٩٠٢م ص ٦٢٣.

٢٠ــ آدم متز: الحضارة الاسلامية.
ج٢:٣١١.

٢١ــ ناصر خسرو: رحلة ص ٧٤.
من النص الفارسي.

٢٢ــ ياقوت الحموي: معجم البلدان.
طبعة لاليبزغ سنة ١٨٦٨.
النويري: شهاب الدين احمد، نهاية الارب في فنون الادب.
وزارة المعارف ــ القاهرة، السفر الثالث ص ٢٦٤ ــ ٢٧٢.
القلقشندي: صبح الاعشى، الاجزاء ٥،٤
المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.
تقي الدين احمد، طبعة بولاق ١، ص ١٠٢

٢٣ــ M. Cook,
Economic developments p. 212.
آدم متز: الحضارة الاسلامية ج٣ ص ٣١١ ــ ٣١٢.

٢٤ــ M. Cook,
Economic developments p. 215.

٢٥ــ R. Mauny,
Notes historiques **autour des principales cultires** d'Afrique occidentale.
BIFAN, XV (1953) p. 694 - 5

٢٦ــ T. Lawicki
West African Food in the Middle Ages, Cambridge, (1974).p. 114 -115.

٢٧ــ El - Bekri,
Description de L' Afrique, Arabic text.
ed. M. Slane 2nd.
Algiers (1913) p. 162.

٢٨ــ القلقشندي: صبح الاعشى.
جزء ٥ ص ١٦.

٢٩ــ المقدسي: احسن التقاسيم ص ١٦١،١٦٢،١٨٠،١٨٦.

٣٠ــ ياقوت الحموي: معجم البلدان.
جزء ١. ٢٠١.

٣١ــ ياقوت الحموي: ن.م.
جزء ١١١ ص ٨٣٢.

٣٢ــ القلقشندي: صبح الاعشى.
جزء ٤: ٨٧.

٣٣ــ النويري: نهاية الارب.
السفر الثامن ص ٢٧١ ــ ٢٧٢.

٣٤ــ النويري: ن.م. ص ٢٦٤ ــ ٢٧١.

Sugarcane cultivation And refining under the Arab Muslims during the Middle Ages.

(English summary)

By Saleh Hamarneh

Our knowledge of the cultivation of the sugarcane extends back to about 3000 B.C., when it was first cultivated in India and possibly the South Pacific Islands.

Egyptian records indicate that the cane was known to the Ancient Egyptians but not the refined sugar. From India in the course of millenia the use of the cane spread to many different parts of the world, among them the Arab Muslim countries.

It is believed that Syrian Nestorian Missionaries from the Upper Euphrates were refining white sugar by the use of ashes in about 700 A.D. Evidence shows that mass production of the new commodity was first introduced by the Muslims about a century later.

The Muslims used not only honey but also refined sugar for both culinary and medicinal purposes, though the ancient Greeks had known only honey. Ibn Huneyn (died 870 A.D.) refers to al Tabarzad as the first quality sugar.

The world is indebted to the Arab Muslims for knowledge of the sugarcane and refining industry, especially the countries of the Mediterranean and Europe in the Middle Ages.

Some Arab geographers and historians - among them Al-Makdisi, Al-Hamawi, Al-Nusayri, Al-Qalqashandi and Al-Maqrizi - have listed the most important Muslim countries cultivating the cane and refining it as sugar as being Khuzistan, Southern Iraq, Egypt, the Jordan valley and the coasts of Greater Syria, from whence it spread to Spain, South Europe and West Africa.

In a recent survey of the Jordan Valley, 32 sugar mills were discovered, all dating to the Ayyubid-Mameluke period, and data collected show that the cultivation of the cane was very extensive. An Arab historian of the 5th cent. Hejiry (11th cent. A.D.) tells us that similar conditions prevailed in Egypt at this time. In fact, the sugar industry was one of the most profitable during the Middle Ages.

We conclude that the political unification of Egypt and Syria in the Ayyubid-Mameluke period greatly encouraged economic development and growth in many fields, not least among them being the sugar industry.

الحفريـــات الاثريـــة في الاردن
١٩٧٦ ـ ١٩٧٧

بقلم
الدكتور معاوية ابراهيم
والسيدة حنان الكردي

منطقة عمان

قلعة عمان

قامت دائرة الاثار العامة باجراء حفريات اثرية في موقع قلعة عمان من خلال فريقين، احدهما باشراف الدكتور فوزي زيادين والسيد مجاهد المحيسن، وقد ركز هذا الفريق حفرياته في المنطقة المحاذية لسور القلعة الشمالي، في الجزء المحاذي للبناء الاموي من الجهة الشمالية الغربية واقدم ما عثر عليه في هذه المنطقة يعود الى العصر البرونزي القديم، اذ ظهرت كسر فخارية مميزة لهذا العصر، الا انه لم تتبين بعد ما هية الطبقات التي وجدت فيها. كما وكشف هذا الفريق عن اجزاء اخرى من الجدران يعود اقدمها الى الفترة الهلنستية وبعضها الى الفترات الرومانية البيزنطية والاموية وتبين نتيجة لذلك ان البركة المتواجده في المنطقة ما بين البناء الاموي والسور الشمالي تعود الى العصر الاموي.

اما الفريق الثاني، الذي اشرفت عليه السيدة كريستال بنت مديرة المدرسة البريطانية للاثار في عمان والسيد الستر نورتج، تركزت اعماله في المنطقة الغربية ابتداء من السور الغربي وعلى امتداد حوالي ٥٠ م الى الشرق، وابرز ما ظهر في هذا الجزء هو منازل من العصرين الاموي والمملوكي تحيط بشارع يسير باتجاه شمال ـ جنوب. وقد تبين من خلال الحفريات في هذه المنطقة ان سور القلعة يعود الى العصر الاموي ولم تظهر اي اجزاء من السور تعود الى اقدم من ذلك، وهذا بخلاف ما كان يعتقد سابقا بان بناء السور قد تم في العصر الروماني. وظهر في احد المجسات بمحاذاة السور من الخلف اناء كامل من العصر البرونزي الوسيط، الا انه لم يكشف النقاب بعد عن مدى امتداد طبقات هذا العصر.

سحاب

في عام ١٩٧٧ واصلت دائرة الاثار العامة حفرياتها للموسم الرابع في موقع بلدة سحاب باشراف الدكتور معاوية ابراهيم (انظر حولية الاثـار ١٩٧٢، ١٩٧٥، ١٩٧٦). استمر الحفر لهذا الموسم في المناطق (Areas E, EW, EE) واقدم ما عثر عليه في الموقع يعود الى العصر الحجري النحاسي الذي ظهر واضحـا في (Areas EE, E) حيـث كشف النقاب عن طبقة رئيسية سميكة يظهر كما تبين من مواسم سابقة ان لها امتداد واسع. وظهر في هذه الطبقة (Area E) وحدة سكنية كبيرة والتي هي عبارة عن مجموعة من الغرف صغيرة الحجم يتوسطها ساحة كبيرة، وظهر في هذه الساحة حفر كبيرة للخزين تم حفرها في التربة العذراء، وغالبا ما كانت هذه الحفر جماعية لاستعمالها لوحدة سكنية باكملها، مع انه ظهرت حفر اخرى اصغر حجما داخل الغرف ووجد في اسفل هذه الحفر بقايا حبوب ومواد عضوية لم يعرف نوعها بعد. فخار هذه الطبقة متنوع وجميعه صناعة يدوية لم تستعمل فيه العجلة ويضم الفخار اواني كبيرة للخزين، صحون وما يشبه المزهريات وغيرها، وبعض الفخار ملون من خلال خطوط عريضة حمراء او بنية ووجد مع الفخار اواني بازلتيه وادوات حجرية وصوانية. جميع هذه المكتشفات تماثل ما وجد في موقع تليلات غسول ومواقع اخرى كثيرة من الالفين الخامس والرابع ق. م، خاصة المواقع التي تم التعرف عليها في غور الاردن.

وتتبع هذه المخلفات طبقة اخرى ممثلة بجدران غير منتظمة دون ان يحفر لها اساسات، كما انها لا تشكل غرفا واضحة المعالم ولم يظهر معها ارضيات مميزة، ويظهر من طبيعة الجدران والفخار المتواجد معها ان هذه الطبقة من مخلفات اناس غير مستقرين تماما ومن المحتمل انها تمثل مرحلة انتقالية ما بين العصر الحجري النحاسي والعصر البرونزي وقـد تعـاصر ما تسميـه كاثلـين كنيـون (Proto Urban) في اريحا او ما يسميه بول لاب (EBI) في باب الذراع.

اما العصر البرونزي القديم فقد بدأت تظهر بقاياه الى الان في جزء محدود من (Area B) حيث ظهرت مجموعة من الكسر الفخارية التي تمثل المرحلة الثانية (EB II) لهذا العصر، وذلك تحت جدران العصر الحديدي مباشرة، وقد تكشف الحفريات المقبلـة عن

تفاصيل اخرى من هذا العصر.

والطبقة الرئيسية التي تلي ذلك هي من العصر البرونزي الاخير والذي يرتبط به سور تحصيني لمدينة يظهر انها واسعة الاطراف. وهذه اول مرة يظهر فيها سور المدينة من العصر البرونزي الاخير في منطقة شرقي الاردن. كشف عن اجزاء كبيرة من هذا السور في ثلاث مناطق رئيسية (Areas E, EW, EE) في الجهات الجنوبية، الجنوبية الشرقية والغربية من الموقع. يبلغ ارتفاع السور في بعض اجزائه اكثر من متر وعرضه حوالي ١ ١/٢ م ويحيط بهذا السور من الخلف جدار اخر اشبه بالجدار الاستنادي موازيا لسور المدينة زيادة في التحصين. وظهر في الطبقة السميكة التابعة للسور، خاصة من الداخل، كميات كبيرة من الفخار المميزة للعصر البرونزي المتأخر، ومن بين الفخار يد جرة مطبوع عليها ختم جعران من ايام الفرعون المصري تحتمس الثالث، اي من النصف الاول للقرن الخامس عشر ق. م، وبذلك تعطينا طبعة الختم هذه برهانا واضحا على التاريخ المقترح لسور المدينة. ويؤمل ان تكشف حفريات المواسم القادمة في الموقع عن تفاصيل اكثر تتعلق بامتداد سور المدينة البرونزي في الجهات الاخرى للموقع وعن اجزاء من المنطقة السكنية للمدينة وسيكون ذلك للاسف محصورا في الاماكن التي تخلو من المنازل الحديثة.

لم تكشف حفريات الموسم الرابع عن معلومات هامة بالنسبة للموقع في العصر الحديدي الاول، الا انه ظهرت شواهد على تواجد مخلفات من هذا العصر في منطقتين في الشمال والجنوب (Areas E, B)، بما في ذلك بعض الجدران ونماذج من الفخار.

اما العصر الحديدي الثاني (حوالي القرنين السابع والسادس ق. م) فقد ظهرت مخلفاته واضحة في وسط الموقع (BII) وفي الجزء الشمالي (Area B) منه. ويظهر من خلال هذا الموسم ايضا ان الموقع في هذه الفترة كان مقصورا على المرتفع في المنطقة الوسيطة للبلدة، كما ظهر ذلك من السور التحصيني للموقع والذي كشف عن جزء غير صغير منه في الجهة الشرقية للمنطقة الوسيطة. يبلغ عرض هذا السور حوالي ٢ م ويضم بداخله من الجهة الغربية عددا من الغرف المستطيلة والمربعة على نمط ما ظهر من البيوت خلال موسم عام ١٩٧٥. وقد اخرجت الحفريات مكتشفات متنوعة من نهاية العصر الحديدي الثاني والتي تضم جرارا مختلفة الاحجام، قوارير فخارية، صحونا، اواني وادوات حجرية متنوعة، وزنات للنسيج وبعض الادوات والحلى المعدنية واشكال ادمية من الفخار. تشبه هذه المكتشفات الى حد كبير ما ظهر في الطبقات العليا من تل المزار وتل دير علا في غور الاردن ومواقع اخرى معاصرة.

لم تكشف الحفريات الى الان عن اية مخلفات من فترات ما بعد القرن السادس ق. م.

عراق الامير

في عام ١٩٧٦ اشرفت الانسة روبن براون ومعها السيد مجاهد المحيسن على مجسات في قصر العبد (عراق الامير) استهدفت الكشف عن مراحل بناء القصر، استمرارا للحفريات التي قام بها الدكتور بول لاب سنة ١٩٦١ – ١٩٦٢، ولم تكشف هذه الحفرية التجريبية عن بينات تشير الى تاريخ بناء القصر، الا انه تبين اعادة استعماله في العصر البيزنطي (القرن الرابع ـ الخامس م) والجدير بالذكر ان الدكتور ارنست فيل والسيد فرنسواز لارش من المعهد الفرنسي للاثار في بيروت يشرفان على دراسة العناصر المعمارية وتصنيفها تمهيدا لاعمال الصيانة والترميم التي ستجرى على القصر.

الجبيهه

قامت دائرة الاثار العامة باجراء حفرية في بلدة الجبيهه التي تقع على بعد ٧ كم الى الشمال الغربي من مدينة عمان باشراف السيد عبد السميع ابو دية والسيد مجاهد محيسن ابتداء من ٥ – ٥ – ١٩٧٦ وحتى ٧ – ٦ – ١٩٧٦ وقد تم نتيجة لذلك الكشف عن كنيسة ذات ارضية فسيفسائية كان العمل قد بدء بها بحفر ثلاث مربعات تجريبية ظهرت بها طبقات اسكان تعود للعصرين الاموي والبيزنطي. اما مبنى الكنيسة فقد بني على الطراز البازيلكي وغطت ارضيتها لوحات فسيفسائية ذات زخارف هندسية من مربعات ودوائر وانصاف دوائر وغيرها بالاضافة الى الزخارف النباتية التي تتمثل في اناء كبير تتدلى منه اوراق الكرمه واغصانها وعناقيد العنب.

هذا ومن المرجح ان تاريخ الكنيسة يعود الى القرن السادس الميلادي نظرا لان النقش الذي يحمل التاريخ قد طمست معالمه (انظر حولية دائرة الاثار العامة ٢١، ١٩٧٦). اما اهم الموجودات فتضم مبخرة نحاسية وخطاف لتعليقها ومصفاة فخارية وبعض المسامير والمكتشفات المعدنية والفخارية الاخرى.

المسح الاثري لمنطقة الجبيهة والجامعة الاردنية.

قام بأجراء هذا (المسح) كل من مفتشي الاثار السيد مجاهد محيسن والسيد محمد نجيب الكسواني بتاريخ ١٢ـ٦ـ١٩٧٦. للمنطقة الممتدة الى الشمال من الشارع الرئيسي للمدينة الرياضية والى الجنوب من الشارع الرئيسي المؤدي الى الجامعة الاردنية، وقد شمل المسح اربعة عشر موقعا هي:ـ خربة عوجان، موقع رقم ٢ (المدينة

الرياضية)، ثغرة الدم، رجم الخرابشة، حليلفية، خربة مسلم، ام الزويتينة، رجم الجمعية الملكية (الجبيهه)، ام النفحات، قرية سلامة، قرية فهد، خربة بركة، خربة ام الضباع، ام الزبيدات (قطنة الجنوبية).

لوحظ بعد انتهاء عملية المسح ان اكثف اسكان للمنطقة كان في العصر الحديدي الثاني وترجع الى تلك الفترة العديد من ابراج المراقبة التي اعيد استعمالها في الفترة البيزنطية.

وقد اعيد سكن المنطقة وبكثافة في الفترة الاسلامية (الايوبية المملوكية) حيث ان غالبية هذا المواقع كانت قريبة من مصادر المياه.

البقعة

على اثر اكتشاف فريق اثري مشترك من دائرة الاثار الاميركي للابحاث الشرقية كهوفا قديمة في منطقة البقعة شمال عمان يعود تاريخها الى العصر البرونزي فقد باشر كل من السيد علي الصعيدي والسيد باتريك ماكون والانسة روبين براون بأجراء حفريات وتنظيفات لاحدهما بتاريخ ٦ – ٦ – ١٩٧٧.حيث تم اخذ العديد من الصور كما جمعت عينات من كسر الفخار المتناثرة ثم قسم الكهف الى مربعات تجربية (٢ × ٢م). اما الموجودات التي عثر عليها فهي عدد من الجعارين وختم اسطواني من الحجر الجيري الناعم يحمل رسوما نباتية وبعض المصابيح والاواني الفخارية غير الكاملة بالاضافة الى عدد من الدبابيس المعدنية والخرز الملون.

وقد تبين نتيجة للحفر بان الموجودات تعود الى فترة العصر البرونزي الاخير (١٤٠٠ ــ ١٢٠٠ ق.م) وكما يبدو فان ايدي بعض العابثين قد امتدت الى الكهف في فترات لاحقة لبدء استعماله.

مطار عمان

قامت دائرة الاثار العامة وبالتعاون مع المركز الامريكي للابحاث الشرقية وباشراف الانسة نظمية رضا والسيد لارى هرر باجراء حفرية في المعبد الذي يقع في منطقة مطار عمان المدني وذلك في اب ١٩٧٦. وقد تركز العمل خارج مبنى المعبد نفسه في محاولة لمعرفة فيما اذا كانت هناك اية مباني ملحقة به وما هو الغرض منها وعلاقتها بحياة السكان هناك، لذا فقد تم فتح مربع (٢ × ٥م) الى الشمال من المعبد ومربع اخر (٢ × ٢م) الى الشرق من الزاوية الجنوبية الشرقية من المبنى ثم مربع ثالث الى الجنوب منه.

وقد اظهرت الحفريات على انه لم تكن هناك اية مباني ملحقة بالمعبد وان الهدف من بنائه (العصر البرونزي الاخير حوالي ١٥٠٠ق. م) كان لاقامة الطقوس الخاصة بحرق الموتى من قبل السكان المحلين تمهيدا لدفن الرماد بعد ذلك. وقد عثر في هذا الموسم وفي مواسم الحفر السابقة على العديد من الموجودات القيمة كالاواني الدقيقة الصنع المستوردة من مصر وقبرص واليونان بالاضافة الى الاوعية المحفورة من قطع صخرية كالبازلت وخنجر برونزي ومجوهرات ذهبية وبقايا عظام انسانية. ذا ويبدو ان عمليات حرق الجثث تمت على اكوام من الحجارة كانت بمثابة مصطبة للحرق بالقرب من بناء المعبد.

كهف الرجيب

تم الكشف في موقع كهف الرجيب وعلى اثر عمليات التنظيف والحفر التي قامت بها دائرة الاثار العامة باشراف السيد عبد السميع ابوديه (حزيران ١٩٧٧) على مجموعة من القبور التي تعود الى فترة العصر الروماني المتأخر. تتراوح اطوال هذه القبور ما بين ١٥٠ ــ ١٨٠ سم وعرضها ٥٥ ــ ٥٠ سم كما تغطيها الواح حجرية تحمل زخارف من اشكال دائرية بارزة. وقد تم العثور بداخلها على بعض الهياكل العظيمة بالاضافة الى الكسر الفخارية المختلفة وبعض الاقراط الذهبية والدبابيس والمشابك المعدنية وحجر بازلتي كروي الشكل يستعمل لسحق المواد المختلفة. ومن الملاحظ وجود اقنية من الماء حول منطقة المقابر لتصريف مياه الامطار ولمنعها من تخريب القبور او جرفها.

منطقة جرش

جرش

قامت دائرة الاثار العامة وبالتعاون مع الجامعة الاردنية باجراء حفرياتها وللموسم الثاني في المدينة ابتداء من ١٥ – ٧ – ١٩٧٦ وحتى ١ – ٩ – ١٩٧٦ باشراف الدكتور عاصم البرغوثي من الجامعة الاردنية.

وقد اسفرت اعمال الحفر عن نتائج واكتشافات هامة، تتعلق بهندسة وتنظيم المدينة الاثرية، وخاصة احياء السكن والمباني الخاصة والعامة فيها وتنظيم شبكة المياه والمجاري في الشوارع الفرعية، علاوة على المعلومات الهامة حول الفترات الاولى والاخيرة للمدينة التاريخية.

كما ظهرت مخلفات اسلامية عربية اموية، لم يسبق ان كشف عنها في السابق بمثل تلك الوفرة، وتعود هذه المكتشفات الى بداية تأسيس المدينة اي في الفترة الهلينستية، القرن الرابع ــ القرن الاول قبل الميلاد، وتمتد الى الفترة (الاموية القرن الاول والثاني للهجرة) وتضم هذه المخلفات نقودا وقطع خزفية.

وظهرت لاول مرة اجزاء من المنازل على جانبي شوارع فرعية يبلغ عرضها حوالي ستة امتار ونصف المتر، ويفصل

بين الجدران الرئيسية لتلك المنازل، شوارع ضيقة بعرض مترين ونصف المتر تقريبا، وهذه المنازل مزودة بشبكة مياه ومجاري فرعية متصلة بشبكة المياه والمجاري الرئيسية في المدينة.

وقد حققت اعمال التنقيب نتيجة هامة، تتعلق بتفاصيل مخطط المدينة، فقد ظهر ان الشوارع الفرعية تسير بخطوط مستقيمة وتتقاطع عموديا بعضها ببعض اما الشوارع الرئيسية فتقسم المدينة الى مستطيلات تبلغ اطوالها ما بين خمسين ومائة متر بمساحة تبلغ خمسة دونمات.

وكان من ابرز ما كشفته حفريات هذا الموسم العثور على الواجهة الرئيسية لمبنى ضخم يعود الى الفترة الرومانية، خلف اعمدة الشارع الرئيسي المعمد، ومنتصف المسافة الواقعة بين المصلبة الجنوبية والساحة البيضاوية المعمدة.

ويبلغ عرض واجهة المبنى حوالي خمسين مترا، ويحده من الشمال والجنوب شارعان فرعيان، عرض كل منهما حوالي ستة امتار ونصف المتر، وتتألف واجهة ذلك المبنى من بوابه رئيسية من الوسط يشكل عمودان على يمينها ويسارها جناحان يتخللهما اربعة ابواب.

وقد ظهرت ما بين اعمدة الشارع الرئيسي وواجهة المبنى التي تبعد عنها حوالي سبعة امتار اجزاء من ارضية مبلطة بالفسيفساء ذات اشكال هندسية من مربعات ودوائر.

وتشير الادلة الاثرية على ان الارضية الفسيفسائية هذه تعود الى نفس فترة البناء اي الفترة الرومانية وبهذا يكون قد كشف ولاول مرة عن ارضية فسيفساء تعود الى تلك الفترة بمدينة جرش.

وتختلف المميزات المعمارية لهذا المبنى عن باقي المباني المكتشفة في جرش ويرجح الدكتور عاصم بناء على هذا وعلى ادلة اخرى وجود علاقة وثيقة لهذا المبنى بالحياة العامة والنشاط السياسي والتجاري للمدنية الاثرية.

منطقة اربد

ام قيس

في سنة ١٩٧٦ واصلت الدكتورة اوته لوكس على رأس فريق المعهد البروتاتسنتي الالماني للاثار اعمال التنقيب في منطقة البازليكا المحاذية للمدرج الغربي من الجهة الشمالية وفي سنة ١٩٧٧ انضم الى الفريق الالماني فريق اخر دنماركي باشراف الدكتور سفند هولم نيلسون الذي عمل في منطقة الحمام الى الجهة الغربية من البازليكا والشارع التجاري.

كشفت الحفريات عن القسم الغالب من كنيسة بيزنطية مربعة الشكل (٢٣ × ٢٣م) يتخللها عند الزوايا اربع حنايا كبيرة داخلية على شكل انصاف دوائر لتأخذ في النهاية شكلا مثمنا. يتوسط الكنيسة مثمن اخر يفصله عن باقي الكنيسة الجزء المخصص للترتيل. يقوم على المثمن الوسطى ثمانية اعمدة بازلتية مع تيجان من البازلت ايضا. أما ارضية الكنيسة فهي مرصوفة بشكل متقن. بحجارة ملونة كما وجد في الجانب الغربي من الكنيسة صف من ثمانية اعمدة. وعناصر البناء هذه جميعها من العصر الروماني اعيد استعمالها في العهد البيزنطي.

كما واظهرت الحفريات حماما كبيرا من العهد الاموي. يقوم على اقواس اعيد بناؤها اكثر من مرة. ووجد في الجهة الجنوبية من الحمام عند المدخل اعمدة جرانتينية وسقف الحمام من الداخل على شكل قبه يتخللها من الاسفل نوافذ صغيرة.

مغارة وردة

تقع مغارة وردة على بعد حوالي ٣٥ كم الى الجنوب من عجلون، وفي سنة ١٩٧٦، قامت بعثة اميركية من جمعية كايل كلسو الاثرية باشراف الدكتور كوغنور باجراء مسح اثري في المنطقة المجاورة لمغارة وردة وابو ثواب، وقد اتبعها سنة ١٩٧٧، بحفريات لمعرفة ماهية وتاريخ منجم الحديد في الجزء المحاذي للمغارة (حولية دائرة الاثار ٢١ سنة ١٩٧٦) وقد ظهرت بعض المواقع التي كان يتم فيها صهر الحديد وتبين ان اقدم تاريخ لها هو العصر الايوبي المملوكي، وذلك بخلاف ما كان يعتقد بانها من العصور الرومانية والحديدية. هذا وسيواصل الدكتور كوغنور اعمال التنقيب والدراسة في الموقع.

بيت راس

في عام ١٩٧٧ قام السيد سلطان الشريدة باجراء حفرية عرضية في هذه القرية (شمال الاردن) تم خلالها الكشف عن مقبرة تعود الى العصر البيزنطي كان من اهم موجوداتها العديد من المصابيح الفخارية.

المغير

يقع تل المغير الاثري بمحاذاة قرية المغير (قضاء اربد) حيث قامت دائرة الاثار العامة باجراء حفرياتها في المنطقة باشراف السيد عمر ارشيدات (نيسان ١٩٧٦)

وقد تم فتح ستة عشر مربعا (٤ × ٤م) على الجانب الغربي من التل حيث عثر على اعداد كبيرة من الحجارة المعروفة باسم (sling stones) تليها مباشرة اساسات لابنية مختلفة منها مستودعات لخزن الغلال. وكما يبدو فان هذه المستودعات قد بنيت بشكل دائري واستعملت الحجارة فقط دون استخدام الملاط وبعضها كان مسقوفا بالواح رقيقة ومستطيلة.

اما الموجودات فهي العديد من الاواني الفخارية والبازلتية وحجارة المغازل الطينية وبعض الاوزان والمكاييل الفخارية بالاضافة الى بقايا القمح والعدس المحروق التي عثر عليها داخل المنازل. وكما يبدو فان التل كان ماهولا في العصر الحديدي الاول ثم اعيد استعماله في العصر الحديدي المتوسط. مع ان الدلائل تشير الى وجود مخلفات اقدم من ذلك، اي من العصر البرونزي القديم وحتى البرونزي المتأخر. كماتوجد على السطح بقايا الفترة الهلنستية.

الاغوار

تليلات الغسول

خلال عامي ١٩٧٦، ١٩٧٧ انهت بعثة جامعة سدني باشراف الدكتور بازل هنسي اعمالها الميدانية في موقع تليلات الغسول شمال شرق البحر الميت استهدف المنقبون لهذين الموسمين الكشف عن اقدم طبقات الموقع والتعرف على علاقة المراحل السكنية التي ظهرت خلال المواسم السابقة. ان اهم نتيجة ترتبت على هذه الاعمال هي الاستمرارية الحضارية بين ما يعرف بالفترة النيوليثية (الحجري الاخير) والعصر الحجري النحاس او الفترة الغسولية. كما تبين ان المعبد المستطيل الذي كشف عنه عام ١٩٧٥ هو اقدم مبنى ديني تم التعرف عليه الى الان في الموقع.

في موسم عام ١٩٧٧ تم رفع وصيانة بضعة امتار مربعة من اللوحات الجدارية المتواجدة في التلين ٢,١. تظهر على اللوحات ثلاثة اشكال ادمية، اثنان منهم مقنعان ويقعان على يمين شخص اكبر حجما، ويغطى راسه قبعة ويحمل في يده اليسرى صولجانا معقوفا. تتجمع هذه الاشكال حول ما يشبه المذبح او المعبد. واستعملت في اللوحات الوان ساطعة منها الاسود، الاحمر، الابيض، والاصفر. تمثل هذه اللوحات باستثناء لوحات جتال هيوك بالاناضول، اقدم ما عرفه الشرق القديم من رسومات جدارية وقد تم اعادتها الى حوالي ٤٣٠٠ ق.م بعد فحصها تحت الاشعة الكربونية.

وصلت الحفريات في منطقة واسعة حتى الرمل الطبيعي الذي يحمل فوقه ١٢ مرحلة سكنية قبل ان يهجر الموقع حوالي ٣٧٠٠ ق.م. تمثل هذه المراحل فترة متاخرة من العصر النيولثي، في وقت كانت المستنقعات والاشجار تغطي المنطقة، وتبعها مباشرة مستوطن العصر الحجري النحاسي او الغسولي. وقد تبين للمنقبين ان مستوطنات تليلات الغسول اقدم من المستوطنات التي عرفت في تلال بئر السبع.

كما اظهرت الحفريات ان الوحدات السكنية المتواجدة على مختلف التلال الصغيرة في الموقع معاصره لبعضها وتتبع مجموعة بشرية واحدة مع انه كان يعتقد سابقا بان التلال تمثل صناعات مختلفة.

دير علا

اجرت دائرة الاثار بالاشتراك مع معهد الاثار الفلسطينية التابع لجامعة لايدن الهولندية موسمين للحفريات باشراف الدكتور معاوية ابراهيم والدكتور هانك فرانكن، وكان معهد الاثار الفلسطينية قد اجرى عدة مواسم في الموقع قبل ١٩٦٧ (انظر التقرير الاولي في هذه الحولية).

تركزت حفريات الموسمين الماضيين على قمة التل وفي اسفله من الجهة الجنوبية الشرقية اذ كان الهدف المرجو معرفة المراحل السكنية المتأخرة وما هية البناء او الابنية التي لها علاقة بالكتابات الجدارية التي اكتشفت عام ١٩٦٧ وموقعها بالنسبة للطبقات المميزة في التل، وكذلك التعرف على تاريخ وما هية اقدم مرحلة سكنية مر عليها التل.

امكن تمييز ست مراحل رئيسية على قمة التل: احدثها المدافن الاسلامية من الفترة الايوبية ـ المملوكية والتي تغطي سطح التل باكمله، ووجد معها بعض الحلى من البرونز وبعض الاواني الفخارية المعروفة باسم اواني استخراج السكر. تعاصر هذه المدافن المستوطن الاسلامي المحاذي للتل من الجهة الشرقية.

اما المراحل الخمس الاخرى فيعود تاريخها الى الفترة ما بين القرن السابع وحتى الخامس قبل الميلاد. يعلوها المرحلة الثانية الممثلة من خلال مجموعة من حفر الخزين التي لا ترافقها اية ابنية. اما المرحلة الثالثة فقد وجد معها بعض الاساسات من الحجارة الهشه وبعض بقايا الطوب اما تمييز المرحلة الرابعة من خلال طبقات سميكة متراكمة فوق بعضها لم يوجد معها ابنية الى الان. كما لم تعرف ماهيتها بعد، الا انه اطلق عليها مبدئيا اسم (courtyard layers)الى ان يتم تحليل محتوياتها. تغطى الطبقات المنوه عنها جدران وردم المرحلة الخامسة من الطوب المربع (٤٠ × ٤٠ سم) او المستطيل (٤٠ × ٢٠ سم) وينحصر تواجد هذه الجدران في النصف الشمالي من قمة التل، ويظهر ان النصف الجنوبي قد استعمل كساحة للخزين، اذ وجدت فيه عدة حفر منتظمة وجد في اسفلها طبقات سميكة من بقايا الحبوب ومواد عضوية اخرى سيتم تحليلها. ويسبق هذه مرحلة اخرى (السادسة) والتي يظهر ان لها انتشار اوسع من المراحل المتاخرة، اذ وجدت بقاياها في جميع المربعات التي تم فتحها، وابرز ما يميز هذه المرحلة جدران من

الطوب وارضيات وحفر للخزين، وقد وجد على الارضيات عدد من اللقي والطوابين، ويظهر ان حريقا قويا سبب هدم وهجر الموقع في نهاية هذه المرحلة، اذ وجدت بقايا الحريق على جميع الارضيات، كما وان اثارها واضحة في الجدران. ومن المحتمل ان تكون المرحلة السادسة قد انشئت فوق مرحلة الكتابات الجدارية، الا ان هذا سيكون موضع اهتمام في الحفريات المقبلة.

من المكتشفات التي يجدر الاشارة اليها من هذه الطبقات بضعة كسر فخارية (ostraca) تحمل كتابات بالحبر ومن بينها اطول كتابة على كسره فخارية عثر عليها في شرقي الاردن، وهناك بعض الاختام والاشكال الادمية والحيوانية مصنوعة من طينة الفخار، وبعض رؤوس السهام من البرونز والحديد وادوات اخرى معدنية وحجرية، ويغلب وجود الاواني والادوات البازلتيه، اما الاواني الفخارية فهي تشبه الى حد كبير تلك التي وجدت في الطبقات المتأخرة في تل المزار الى الشمال من دير علا، وتكثر القوارير الطويلة واخرى لها قواعد مدببة وكذلك الصحون المفلطحة وجرار الخزين متوسطة الحجم.

وفي موسم عام ١٩٧٦/١٩٧٧ قامت البعثة بالعمل في المنطقة الواقعة شمال التل حيث وجدت الكتابات الجدارية لعام ١٩٦٧. وتم الكشف عن بعض الجدران المبنية من الطوب والتي لها علاقة مباشرة بالبناء الذي وجدت فيه الكتابات، الا ان حفريات ذلك الموسم لم تكشف عن طبيعة هذا البناء وابعاده، وان الاستمرار بالحفريات في هذا الجزء لضروري للتعرف على وظيفة البناء. ومن بين المكتشفات لهذا الموسم اناء رخامي صغير له يد مثقوبة ورسم على قاعدته يد بارزه تشبه تماما اواني عثر عليها ضمن معابد او مراكز دينية كما هو الحال في تل (القدح) وراس شمرا كما وجدت في الطبقة نفسها كسره فخارية محفورة عليها كلمات ارامية.

اظهرت الحفريات في اسفل التل من الجهة الجنوبية الشرقية مخلفات معمارية من العصر البرونزي المتوسط (القرن السابع عشر ـ السادس عشر ق.م) وهي اقدم ما عثر عليه في التل الى الان. ويظهر ان الغرف التي كشف عنها في هذه المنطقة لها غرض دفاعي اذ يبلغ عرض الجدران الخارجية التي بنيت من الطوب المشوي حوالي ١,٥ م ووجد في احد الغرف ادوات برونزية قد تمثل اسلحة. يصل ارتفاع ما تبقى من الجدران حوالي ٢,٥ م. فغالبا ما تتبع هذه الجدران لتحصينات الموقع التي اسند اليها طبقات سميكة من التراب والترسبات بشكل مائل. كما هو الحال في العديد من المواقع الاردنية والفلسطينية من النصف الاول للالف الثاني قبل الميلاد.

وستواصل دائرة الاثار العامة بالاشتراك مع جامعة لايدن اعمال التنقيب والدراسة في الموقع عبر مواسم قادمة.

تل المزار

يقع تل المزار في منطقة الاغوار الوسطى الى الشمال من دير علا، حيث نقبت الجامعة الاردنية بالتعاون مع دائرة الاثار العامة في بداية عام ١٩٧٧، باشراف الدكتور خير ياسين من الجامعة الاردنية، ركز فريق الحفريات اعماله في التل نفسه (على القمة وفي السفح الجنوبي) وفي منطقة المدافن الى الغرب من التل.

كشفت الحفريات في التل نفسه عن اسوار للموقع يؤرخها الدكتور ياسين للعصر الحديدي الاول بعد تدمير الموقع في اواخر العصر البرونزي الاخير. هناك سور داخلي واخر خارجي وكلاهما من الطوب وقد عثر في المنطقة ما بين السورين على غرف بارضيات مقصورة.

واظهرت الحفريات اجزاء من المنشات المتواجدة على قمة التل والتي يعود بعضها الى الفترة الهللـــــنستية والبعض الاخـــــــــــــــر الى فترة العصر الحديدى المتاخر (القرن السادس ـ الخامس ق.م)، وتضم هذه المنشات بعض الجدران من الطوب يعاصرها عدد كبير من حفر الخزين والتي وجد في بعضها بقايا مواد عضوية، اذ غالبا ما استعملت لخزن الحبوب.

اما المدافن فتتواجد على تله منخفضة تقع حوالي ٣٠٠م الى الغرب من تل المزار. تعاصر المدافن الطبقات العلوية من التل والتي تعود الى القرن السادس ق.م. وقد امكن تمييز اربعة انواع من المدافن تشمل:ـ

أـ مدفن له مسطبه ب ـ مدفن له ساحة ج ـ مدفن ذو مدخل رأسي د ـ تابوت فخارى.

هنالك اختلاف واضح في الطريقة التي دفن فيها كل من النساء والرجال، اذ وجد الرجال في حالة استقامة تامة والرأس باتجاه الشرق والايدي فوق الصدر، اما النساء فبوضع القرفصاء اى ان الارجل مشدوده نحو الصدر، والايدى فوق الرأس.

وقد ضمت مكتشفات المدافن عددا من الاختـــام، وادوات واواني فخارية ومعدنية، وحلي من البرونز وقلائد من الخزز، كما وجدت في بعض الهياكل رؤوس سهام، وبعض هذه الهياكل مثقوبه في مواضع مختلفة مثل الرأس والساق، ولم يعرف الى الان السبب في ذلك، الا انه من المحتمل ان يكون لاحداث هذه الثقوب علاقة في العلاج الطبي كما يعتقد الدكتور خير ياسين الذى سيواصل اعماله في الموقع.

المسح الاثرى في الاغوار

اتم فريق المسح الاثرى لمنطقة الاغوار الموسم الثاني في

الاشهر الاولى من عام ١٩٧٦، وقد اشرف على اعمال البعثة كل من الدكتور معاوية ابراهيم المدير الاداري للبعثة ممثلا لدائرة الاثار العامة، الدكتور خير ياسين ممثلا للجامعة الاردنية، والدكتور جيمس ساور ممثلا للمركز الامريكي للابحاث الشرقية بعمان.

تمتد المنطقة التي شملها المسح لهذا الموسم من تل المزار في الشمال وحتى الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الميت في الجنوب، وبذلك تكون البعثة قد غطت منطقة الاغوار الشرقية بين نهر اليرموك شمالا والبحر الميت جنوبا، واصبح مجموع المواقع التي تم التعرف عليها وتسجيلها ٢٢٤ موقعا تمثل مختلف العصور من فترات ما قبل التاريخ وحتى العصور العربية الاسلامية المتأخره (انظر حولية دائرة الاثار العامة ٢٠، ١٩٧٥، وكذلك BASOR 222, 1976)

تركزت المواقع بشكل خاص حول الوديان الرئيسية مثل وادى الزرقاء، وادى نميره (وادي شعيب)، وادي الرامه، وادي الكفرين، ووادي العظيمة، ومما يلفت النظر ان المنطقة المتده ما بين المثلث المصري جنوبي وادي الزرقاء ووادي نميره تكاد تخلو من المواقع الاثرية، باستثناء بعض المواقع من العصر البرونزي المتوسط في غور كبد وموقع من الفترة الرومانية البيزنطية قرب بلدة الكرامة وبعض الابنية المتناثره حول الطريق القديمة والتي غالبا ما استعملت كابراج ومحطات استراحه. نعرض هنا تلخيص للميزات الرئيسية للفترات الزمنية والمواقع التي تمثلها.

مواقع ما قبل العصر الحجرى الاخير:

تتميز هذه المواقع بوجود اعداد كبيره من الادوات الصوانية، وعدا ذلك لا يوجد على السطح ما يثبت وجود مخلفات سكنية، واهم موقعين هما: محث (على الجانب الشمالي الغربي لنهر الزرقاء) وكتف الصافي في الجنوب (على المنحدر شرقي البحر الميت)، وقد تكون بعض الكهوف المتواجده في المنطقة المنخفضة من الجبال الشرقية معاصره لهذين للموقعين، خاصة تلك الكهوف الممتده على حافتي فوهة وادي شعيب.

العصر الحجري الاخير (النيوليثي) / الحجـري النحاسي:

تتواجد مواقع هذا العصر بشكل كثيف حول الوديان الرئيسيه، اذ يضم نهر الزرقاء على ضفتيه كلا من المواقع الرئيسية كتار زكرى وذراع الحصيني، ويضم وادى نميره المواقع: تل غنام، تل عفاش وغربه، ويقع السد الغربي على ملتقى وادي الكفرين مع وادى الرامة، يتميز موقع تليلات الغسول بتواجده على مجموعة تلال صغيرة الى الشمال الشرقي من البحر الميت.

تمتاز هذه المواقع بشكل عام بطول امتدادها حول الوديان، ويظهر ان تطور هذه المستوطنات قد تم بشكل تدريجي دونما تخطيط مسبق، ولم يعثر على اسوار حول اى منها ولا شك بان هذه المواقع كانت مجتمعات القرى الزراعية البدائية التي اعتمدت عل مصادر المياه مباشرة. تشير نتائج هذا المسح بانه لا يوجد فارق واضح بين ما يسمى العصر الحجرى الاخـير (النيوليثـي) والعصر الحجرى النحاسي (الكالكوليثي) الا انه تظهر مع نهاية هذه المرحلة بعض المواقع مثل الرويجة، تل ام حماد الشرقي، كتارة السمره وغيرها التي تمثل مرحلة انتقاليه قبيل العصر البرونزى القديم.

العصر البرونزى القديم:

معظم المواقع التي تم التعرف عليهـا من العصر البرونزى القديم ــ الالف الثالث ق.م ــ متواجدة على قمم الهضاب المحاذية للمرتفعات الشرقية كما هو الحال في تل القوس شمالي دير علا، تل ابو زيغان وتل علا (الحندقوق) على فوهة وادى الزرقاء من الجنوب، تل مسطاح على فوهة وادى شعيب، وتل العظيمة الى الشرق من البحر الميت. ولهذه المواقع طابع استراتيجي وتحصيني وتشبه الى حد كبير سائر المواقع المتواجده في الشمال من الاغوار. ينطبق على هذه المواقع اسم دويلات المدن التي قضي عليها في نهاية الالف الثالث ق.م وتم استبدالها بمواقع اشبه بالمواقع الزراعية البدائية والتي تمثل مرحلة انتقاليه بين العصرين البرونزى القديم والمتوسط.

العصر البرونزى المتوسط والبرونزى الاخير:

ان المواقع التي تمثل بداية العصر البرونزي المتوسط اشبه بالمعسكرات كما هو الحال في دامية الجديده وكتار غور كبد. تتواجد غالبية المواقع التي تليها حول منطقة نهر الزرقاء مثل كتارة السمرة، تل دير علا، تل العرقادات وغيرها، وقد قامت بعثة المسح الاثري بحفر احد مدافن بداية العصر البرونزي الاخير في موقع كتارة السمرة واستخرجت عددا كبيرا من الاواني الفخارية والادوات البرونزية التي تمثل هذا العصر.

العصر الحديدى:

تكثر مواقع هذا العصر حول نهر الزرقاء وجنوبي وادي نميره ولغالبية هذه المواقع طابع تحصيني، خاصة تلك التي تعود الى مرحلة متاخره من هذا العصر. وكشف النقاب ايضا عن عدد من المواقع الهللنستية.

العصور الرومانية وحتى العربية:

ان المواقع الرومانية في النصف الجنوبي من الاغوار

متواجده على ارضية الغور نفسه، بخلاف مواقع النصف الشمالي حيث اختيرت المواقع ذات الطابع التحصيني على اطراف المرتفعات الشرقية. هناك موقع رئيسي جنوبي نهر الزرقاء هو خربة البقيعة التي قد تشكل اكبر موقع روماني تم التعرف عليه في الاغوار الى الان. كما عثر على بعض المعسكرات الرومانية اهمها تلك المتواجده بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية من البحر الميت.

اعيد استعمال العديد من المواقع الرومانية في الفترة البيزنطية والفترة الاموية، الا ان المواقع الايوبية ـ المملوكيه ممثلة ايضا في الاغوار الجنوبية على نطاق اوسع من الفترات التي سبقتها، وهناك دلائل واضحة على تطوير وسائل الري في الفترة الاموية وما بعدها واوضح دليل على ذلك منشات الرى المتواجده في غور كبد جنوبي المثلث المصرى، حيث عثر على خزان كبير لجمع المياه والتي تتفرع عنها شبكة كبيرة من قنوات الرى.

منطقة مادبا

جبل نيبو

قامت دائرة الاثار العامة وبالتعاون مع الدكتور ميشيل بيتشر للومن معهد الفرنسكان الايطالي بالكشف ولاول مره عن ارضية فسيفسائيه تعود الى القرن السادس م. وذلك اثناء عمليات رفع احدى الارضيات الفسيفسائية المكتشفة سابقا في الجناح الشمالي من الكنيسة (١٩٧٦) وقد تم العثور بعد رفع الارضية على قبر يعود الى القرن ٤ـ٥ م. وعلى كنيسة صغيرة ترجع الى القرن الخامس م. بالاضافة الى الكنيسة ذات الارضية الفسيفسائية (٥٢٦م).

تمتد اللوحة الرئيسية من هذه الارضية بطول ٦،٢٩م وبعرض ٥،٣٢م تتوزع عليها مشاهد مختلفة من صيد وحيوانات كالاسد والنمر والخنازير البرية والدب والجواد وكلاب الصيد الرشيقة بالاضافة الى اندر المشاهد التي ظهرت على الارضيات الفسيفسائية في المنطقة وهي صورة العبد الزنجي الذي يقتاد نعامة ثم صورة الرجل الذى يمسك بزمام حصان وجمل ويبدو الجميع في منتهي الحيوية التي صورها الفنان بواقعية يحسدها عليها الرسام يتخلل كل ذلك زخارف نباتية متعدده من اشجار وازهار برية كما احيطت هذه المشاهد كلها باطارات من الزخارف النباتية المجدوله. هذا وقد عثر على نقشين باليونانية احتوى احدهما علي تاريخ بناء الكنيسة والاخر احتوى على اسماء الفنانين الذين ساهموا في هذا العمل (انظر الحولية الاردنية العدد (٢١ ، ١٩٧٦).

كفير الوخيان

تبعد هذه القرية حوالي ٤كم شمالي مدينة مادبا حيث قام السيد مجاهد محيسن باجراء حفرية عرضية ولمدة اسبوع هناك (تشرين ١٩٧٧)، ثم الكشف خلالها عن كنيسة بيزنطية ليست بحالة جيدة وكما يبدو فان اسكان المنطقة في الفترة الاسلامية كان كثيفا.

ماعين

على اثر شق طريق داخل هذه القرية في منطقة مادبا تم الكشف عن كنيسة بيزنطية وقد بوشر بالحفر فيها في شباط ١٩٧٧.

اظهرت الحفريات وجود جدران واضحة وتاجيات اعمدة وكذلك ارضية فسيفسائية تم تصويرها وادخالا ضمن ملفات الدائرة ثم اعيدت تغطيتها بالاتربة حفاظا عليها من العبث.

كما تم العثور على قبر داخل الكنيسة الا ان ايدى بعض العابثين كما يبدو كانت قد امتدت اليه لذا فقد اخرجت بعض القطع الزجاجية فقط حيث تم عرضها في متحف مادبا الاثرى.

حسبان

(انظر حولية دائرة الآثار العامة، ٢١ ١٩٧٦، ص ٤١)

منطقة الكرك

باب الذراع

استمرت حفريات باب الذراع قرب لسان البحر الميت خلال موسم ١٩٧٧ في كل من مدينة العصر البرونزي القديم وفي المدافن المجاورة من العصر نفسه، وقد اشرف على اعمال التنقيب في الموقع كل من الدكتور والترراست والدكتور توماس شاوب ففي المدينة وصل عمق طبقات العصر البرونزي القديم حوالي ٥م ، ويحيط بالمدينة سور ضخم يتخلله ابراج تم بناؤها من الطوب ويظهر واضحا ان الغرض من هذه المنشات المحيطة بالمستوطن كان دفاعيا.

بالاضافة الى المدينة قام المنقبون بحفر مجموعة من المدافن في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، وقد ظهر في هذه المدافن اعداد كبيرة من الاواني الفخارية والبازلتية والدبسات الحجرية والرخامية وبعض الاشكال الادمية من الفخار وغير ذلك من المكتشفات التي تعود الى مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم وتعتبر هذه المدافن من اغنى ماعرفته المنطقة مع نهاية الالف الرابع وبداية الالف الثالث ق.م . ومعظم هذه المدافن محفورة في الترسبات الرملية ومميزة من خلال مداخلها الراسية.ولم يعثر على مايعاصرها بداخل المدينة المسورة. هذا وتم التنقيب ايضا في بعض المدافن المستطيلة والتي تم بناؤها من الطوب

حوالي منتصف الالف الثالث ق.م. وقد تم حفظ حصةالدائرة من هذه المكتشفات في متحف اثار الكرك ونقلت البعثة الاميركية حصتها ليتم عرض نماذج منها في عدد من المتاحف الامريكية.

تل نميره

قامت البعثة الامريكية التي تنقب في موقع باب الذراع باشراف الدكتور والترارست والدكتور توماس شاوب باجراء مجسات لأول مره في موقع تل نميره على بعد حوالي ١٣كم الى الجنوب من باب الذراع وعلى الضفة الجنوبية من وادي نميره.

يعود تاريخ الموقع الى مرحلة متاخرة من العصر البرونزي القديم وقد اظهرت الحفريات اجزاء من سور المدينة وبعض الغرف التي وجد فيها اواني فخارية كبيرة الحجم، واحواض للخزين ووجد في احد الغرف كميات كبيرة من العنب الجاف. من المكتشفات التي تلفت النظر طبعة ختم اسطواني على جرة فخارية ويشير هذا الختم الى الاسلوب الذي كان متبعا في العراق وشمالي سوريا.

هذا وتنوي البعثة مواصلة التنقيب في كل من باب الذراع ونميره لموسم آخر عام ١٩٧٩.

المدينة

قامت البعثة الاسبانية برئاسة الدكتور اميلو اولفاري وبالتعاون مع دائرة الاثار العامة (١٩٧٦) باجراء حفريات في خربة المدينة التي تقع على بعد ٥ كيلومترات الى الشرق من قرية السماكية (الكرك).

اما الموقع فهو عبارة عن قلعة مسورة كالقلاع المشابهه في كل من عرار وبالوعة وتشرف على وادي المعرجة الذي يصب في وادي الموجب وكانت قد بنيت على قمة جبل مرتفع لمراقبة الطريق التي تعبر الوادي، وفيها برج حصين يعزله خندق نحت في الصخر.

تبين بعد الحفريات ان البناء الرئيسي هو قاعة مستطيلة الشكل في وسطها دعامات من الحجر لتحمل السقف يعود تاريخها الى العصر الحديدي الاول (حوالي ١٢٠٠ ق.ب) . وقد وجد مثل هذا البناء في سحاب ومن نفس العصر كما وجد منه عدة امثلة ايضا في الضفة الغربية.

هذا وتامل البعثة العودة الى الموقع لاستكمال الحفريات.

المسح الاثري لمنطقة باب الذراع(منطقة اسكان مشروع البوتاس) قام السيد ديفيد ماكريري والانسه نظميه رضا من دائرة الاثار العامة باجراء مسح اثري للمنطقة التي تقع الى الجنوب الغربي من باب الذراع (تشرين ثاني ١٩٧٧) ونتيجة للمسح تبين وجود العديد من الرجوم (Cairns) الحجرية التي وقعت على خارطة الاردن وكذلك سور ضخم يحد هذه الرجوم ثم قامت البعثة بالحفر في بعض هذه القبور او الرجوم التي استعملت الحجارة البازليتة السوداء والرملية في بناءها حيث عثر على العديد من الهياكل العظمية الانسانية لرجال ونساء واطفال وفي اوضاع مختلفة على ارضية من الحجارة المرصوفة.

اما الموجودات فكانت قليلة ماعدا بعض الكسر الفخارية التي ترجع الى العصر الحجري النحاسي المتاخر وحتى العصر البرونزي القديم.

مثلث غور المزرعة

قام السيد سامي الريضي مفتش اثار الكرك باجراء حفرية عرضية(١٩٧٥) لتنظيف مجموعة من المقابر البيزنطية في غور المزرعة(الكرك)تمهيدا لتسليم المنطقة الى الشركة الصينية التي تعمل على توسيع وشق طريق الصافي – العقبة. هذا وقد عثر على بعض الموجودات الزجاجية والفخارية.

غور الحديثة (الاغوار الجنوبية)

في بداية عام ١٩٧٦ قام السيد سامي الريضي مفتش اثار الكرك باجراء حفرية في منطقة المقابر البيزنطية وغور الحديثة حيث تم العثور على قطع فخارية وزجاجية معروضة حاليا في متحف مدينة الكرك.

منطقة معان

البتراء اجرت بعثة جامعة يوتا الاميركية موسمين اخرين (١٩٧٦،١٩٧٧) من الحفريات في منطقتين رئيسيتين على السفح الشمالي للشارع الرئيسي، تتمثل المنطقة الاولى بالمنازل البيزنطية والنبطية وتضم المنطقة الثانية معبدا نبطيا كبيرا تم بناؤه من الحجارة التي تغطيها قصارة مزخرفه وعلى شكل افاريز. ويظهر ان اجزاء كبيرة من القصاره كانت ملونه باشكال هندسية وادمية. اما ارضية المعبد فمرصوفة بالرخام الاسود والابيض. يتخلل المعبد صفوف من الاعمدة التي كانت تحمل السقف. وترتفع عن ارضية المعبد مصطبه كبيرة كانت مغطاه ايضا بالرخام تتصل بالارضية من خلال ممرات مدرجة. يظهر واضحا ان المدخل الرئيسي من الجهة الجنوبية حيث يتصل بدرج واسع يؤدي الى شارع الاعمدة بالقرب من قوس النصر، وقد تركزت حفريات الموسمين الماضيين في المنطقة بين الشارع والبناء الرئيسي وكذلك في المرافق التابعة للمعبد مثل الغرف الجانبية والممرات التي كانت تحمل على اقواس.

ويشير رئيس البعثة الى ان المعبد كان مازال قائما في العهد البيزنطي وان سبب انهياره زلزالا حدث سنة٧٣٧ م، وهناك دلائل تشير الى وجود زلزال اخر قبل ذلك سنة ٣٥٠م احدث فيه تصدعات وبعض الانهيارات.

يعيد الدكتور هاموند بناء المعبد الى زمن الملك النبطي الحارث الرابع (٩ - ٤٠م) في وقت كانت فيه البتراء مزدهرة وتنعم بالثراء كما ان اكتشاف مايسميه " صنم العين" يجعله يميل الى الاعتقاد بانه كان مخصصا للالهه العزى النبطية.

يشير الموقع والتفاصيل العمرانيــة والزخرفيــة الى الاهمية الدينية التي كان يتمتع بها المعبد في فترة وصلت فيها البتراء اوج ازدهارها واكتمال مبانيها العمرانية.

ويواصل الدكتور هاموند الدراسة والاعمال الميدانية في الموقع خلال الاعوام القادمة.

كما تابعت دائرة الاثار العامة حفرياتها التي كانت قد قامت في البتراء بالتعاون تمع الدكتور مانفرد لندنر من جمعية العلوم والتاريخ (نورمبرغ - المانيا) في نيسان ١٩٧٦.

وقد بوشر العمل في نفس المواقع التي كان الحفر فيها قد ابتدأ من عام ١٩٧٣ وهما الموقعان أ.ب. وتبين نتيجة للحفران الموقع كان عبارة عن قبر منحوت من الصخر وفيه مدفن لطفل ويبدو ان استعماله كبيت للسكن قد اعيد في الفترة البيزنطية اما الكسر الفخارية فيعود تاريخها الى العصر النبطي والروماني والبيزنطي.

وفي الموقع ب استمر العمل في تنظيف بقية المدافن التي كان قد عثر عليها في مواسم سابقة. حيث عثر بداخلها كل منها على هيكل عظمي وعدد من الاجراس الصغيرة واربعة اسرجة.

ويبدو ان هذه المقبرة قد استعملت مرتين كانت اخرها خلال حكم الملك النبطي عباده الثاني (٣٠ - ٩ق.ب). لكن ايدي بعض العابثين قد امتدت اليها وسرقت معظــم محتوياتها.

وادي موسى

بناء على اخبارية وردت في شهر تشرين ثاني عام ١٩٧٧ من احد مراقبي الابنية باكتشاف تمثال نصفي من العهد الروماني، وعلى اثر ذلك قام السيد مجاهد المحيسن بالكشف عن ماهية الموقع الذي ظهر فيه التمثال في منطقة مربعة السوق بداخل بلدة وادي موسى.

وقد كشف النقاب عن مدافن اسلاميــة(الفتــرة المملوكية) وبناء من الفترة ذاتها في الطبقات العلوية. وظهرت بعض الجدران التي تتبع الفترة البيزنطية حيث اعيد استعمال التمثال في احد الجدران، وقد امكن تاريخ الطبقات البيزنطية من خلال مجموعة من قطع العملة وكسر من القصاره مكتوب عليها بشكل غائر باللغة اليونانية وتذكر احداها ماترجمته " نعمة المسيح" يسبق ذلك طبقة من العهد الروماني المتاخر ممثلــة بجــدران اعيــد استخدامها كاساسات للجدران البيزنطية. وتم الكشف كذلك عن ارضية مبلطة بالحجارة ربما كانت تمثل معبدا حيث عثر على مجموعة من الاعمدة وتيجانها ويبلــغ ارتفاعها حوالي ١٥م. واقدم ما عثر عليه عبارة عن كسر فخارية من الفترة الهلنستية.

وعثر في انقاض الجرافات على تمثال نبطي يمثل الالاهة العزى يشبه ما كشف عنه مؤخرا على الجانب الايسر من سيق البتراء.

مسح اثري لصحراء معان

قام الدكتور فيليب هاموند باجراء مسح اثري لمواقع ما قبل التاريخ في الجزء الصحراوي الشرقي من منطقة معان ولمدة شهر خلال ايار وحزيران ١٩٧٦، وكان الهدف من هذا المسح هو تحديد هذه المواقع وتثبيتها على الخرائط ثم تاريخها ومعرفة كثافتها السكانية ونوعية وطراز الاسكان فيها.

ونتيجة المسح تم تسجيل ٣٥ موقعا جديدا مابين كهف وملاجىء صخرية صغيرة الى مستوطنات كبيرة نسبيا. وكما يبدو فان اسكان المنطقة قد ابتداء من اواخر العصر الباليوليثي (الحجري القديم) واستمر وبشكل اقل كثافة في العصر الحجري المتوسط(الميزولثي) وحتى النيوليثي العصر الحجري الحديث) كما لوحظ وجود اثار اسكان ثمودية ونبطية في بعض هذه المواقع.

هذا فان عملية المسح قد غطت جزاء ولو بسيطا من فترة غير معروفة نسبيا في الاردن حيث ان معرفة تاريخ هذه الحقبة الزمنية كجزء من التاريخ الحضاري الانساني هام جدا.

الحصون العربية

قام السيد توماس باركر عام ١٩٧٦ بمسح المواقع الدفاعية والعسكرية المعروفة " بالحصون العربيــة" والممتدة على اطراف الصحراء الغربية مابين ام الجمال والعقبة (حولية دائرة الاثار الاردنية ١٩٧٦،٢١ ص. ١٩ - ٣١). استهدفت عمليات المسح زيــارة جميــع الحصون والمواقع المرتبطة بها وعلاقتها بالطريق الرئيسية التي كانت تسير من شمالي الاردن الى جنوبه ، وكذلك وظيفة كل حصن وتاريخه من خلال المكتشفات السطحية، وخاصة العينات الفخارية.

وقد امكن مسح ٤١ موقعا غالبيتها(٣٧) عسكرية ومحطتي استراحة وموقعين مدنيين، استعمل العديد منها في الفترة الرومانية المبكرة(القرن الاول ق.م) واستمر استعمالها حتى العصور العربية الاسلامية(القرن الثالث عشر الميلادي).

الحرة

هي تلك المنطقة من الصخور البازلتيه الممتدة في

صحراء الاردن الشمالية الشرقية حيث قام السيد فنسنت كلارك بجمع مايقارب من ٥٠٠ نقش صفوي غيرمسجلة حتى الان تمهيدا لتقديمها كاطروحه للدكتوراه في جامعة سدني باستراليا.

هذا وتعرض السيد كلارك في بحثه لانواع الخطوط الصفوية المبكرة والمتاخرة وموضوع تاريخها وما تبحثه هذه النقوش من مواضيع مختلفة (انظر حولية دائرة الاثار العامة ١٩٧٦،٢١).